بسم الله الرحمن الرحيم





جامعة النيلين

كلية الدراسات العليا

قسم التاريخ

حركة الخريجين في السودان 1918-1945م

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالبة:

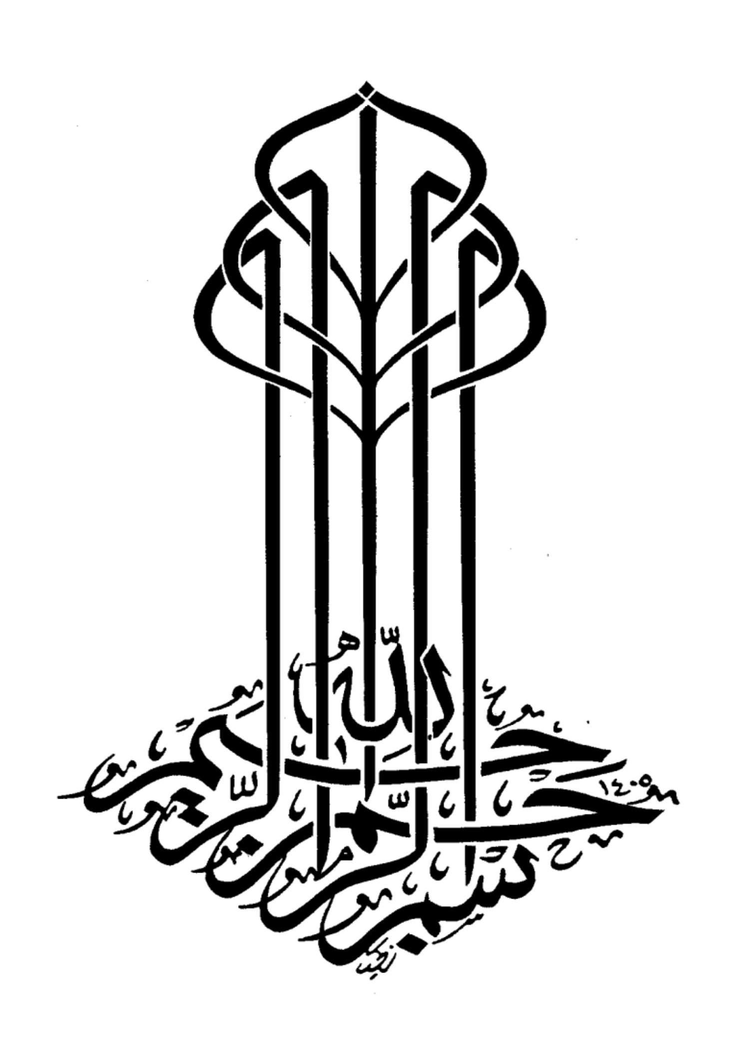
حسناء أبكر جاموس حداي

أشراف البروفيسور:

فيصل محمد موسى

1438هـ - 2017م





استهـلال

قال تعالى:

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)

صدق الله العظيم

(سورة الإنسان الآية (1-3)

إهداء

- إلى أمي وأبي .
- إلى زوجي الذي وقف بجانبي طيلة فترة دراستي وكان خير عون وسند لي.
- إلى أخواتي وأبنائي متعهم الله بالصحة والعافية.
- إلى صديقاتي قد يتغير كل شيء فينا ولكن يبقى ودنا كبيراً كما تعودنا ويبقى وعد التواصل بيننا .
- إلى كل من أهداني شعلة من علم تضيء طريقي وكل من علمني حرفاً أهدي هذا الجهد ..

الباحثة

شكر وتقدير

الشكر أولاً لله وحده لا شريك له والذي بفضله تتم الأعمال والحمد لله الذي وفقني في إتمام هذا البحث والشكر لكل إنسان وقف معي في إخراج هذا العمل، وأسوق الشكر أجزله وأكمله للبروفيسور الجليل

فيصل محمد موسى

الذي أشرف على هذا البحث وكان خير معين لم يكل ولم يمل في إخراج هذا البحث حتى ترعرع ونمى ولبس حلة زاهية ليخرج بهذه الصورة المشرفة.

والشكر إلى أسرة مكتبة جامعة النيلين على تعاونهم معي في توفير المراجع.

ولا يفوتني أن أشكر أفراد أسرتي جميعاً الذين ظلوا سنداً ودعماً لي حتى اكتمل هذا البحث.

ـــ الباحثة ـــ

مستخلص البحث

سلط البحث الضوء على دراسة حركة الخريجين في السودان من بداية تأسيس اندية الخريجين في السودان عام 1918م ، وأول نادي كان نادي الخريجين بام درمان وكان أول هيئة سياسية في السودان تحت ظل الوجود الاستعماري البريطاني ، وبدأت الفكرة تنمو في وسط السودان بتأسيس جمعية أعلي صوتاً وهي جمعية الاتحاد السوداني في عام 1920م.

ثم تضافرت الجهود إلي تكوين جمعية اللواء الأبيض في عام 1924م وفي فترة زمنية قصيرة كان له ثورة جسارة من قبل الخريجين وبمقتل السير لستاك دخلت الحركة الوطنية السودانية مرحلة جديدة من مراحل تاريخها بعد عام 1924م الي 1935م وسميت بمرحلة الركود ولكن في بداية الثلاثينيات ظهرت تحركات سودانية وكان بداية اضراب طلبة المدرسة الحربية وظهور المدارس الفكرية في السودان وبدأ نمو الوعي القومي في السودان ورائد الفكر كان نادي ود مدني ، ثم كانت النهضة الأدبية في الآدب والشعر والموسيقي وكان الابداع في يوم العليم.

وفي عام 1935 دعوا إلي تكوين مؤتمر الخريجين وتم تأسيسه في عام 1938م ، ولعب دوراً بارزاً في تاريخ السودان وعبر مؤتمر الخريجين تم تغيير تاريخ السودان وثم تقديم مذكرة في عام 1942م ، كما لعب الزعامات الطائفية دوراً بارزاً في الحركة الوطنية.

ABSTRACT

قائمة المحتويات

المقدمة:

تعتبر الحياة معركة مستمرة بين جهود المصلحين والحركات التحريرية وبين قوات الخير وقوات الشر حتى يصل بالإنسان إلى مستوى الكمال أي التوازن. وتعتبر حركة الخريجين وتطورها في السودان علم من اعلام الحركة الفكرية والوطنية في السودان ولمعت فيه شخصيات دفعت إلى إنشاء مؤتمر الخريجين وأصبح نواه الأساس الفكري منذ التأسيس في السودان وسعوا إلى تحقيق أهدافهم الفكرية والأدبية والسياسية.

في الوقت الذي وقفت الإدارة البريطانية حائرة في وسط الظروف المتعارضة التي يعيشها المجتمع السوداني وصلت أفكار الخريجين إلى أعلى موجات التفاؤل والثقة بالانتصار وكان كل ذلك على يد الجيل الجديد الذي استفاد من تجارب السنين ومن حلقات النقاش فاكتملت له عوامل النجاح.

ليست محتويات هذا البحث تاريخ للسودان إنما هي عرض لثمرات مجهود الخريجين في التطور الاجتماعي في السودان ومن ناحية أخرى هي ترجمة نشاط لجيل. جيل ظهر في عالم الوجود في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين وقام بتجربته الأولى في منتصف العقد الثالث.

ولقد حاول الدارس في عرض هذه الصفحات لتحقيق هدفين هما: اثر الفرد علي الجماعة وتمثيل الجماعة لدور الفردية. وان مستقبل المجتمع أمانة في يد الجيل القادم.

ونتج عن تلك التحولات ظهور طبقة جديدة وبأفكار جديدة مستفيده من التجارب السابقة وعبر عن طموحها القومي بكل وضوح برغم وجود العديد من المعوقات والصعاب لقتل روح الوطنية ولكن أفلحت جهود الخريجين حتى وصلوا إلى إنشاء الأحزاب السياسية ومن ثم نال السودان استقلاله.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من خلال الأسئلة آلاتية:

1. ما هي المشاكل التي واجهت حركة الخريجين في بداياتها الأولى؟
2. هل لعب مؤتمر الخريجين دوراً في مناهضة الوجود الأجنبي؟
3. من أين نبعت فكرة مؤتمر الخريجين؟
4. ما رأي الإدارة البريطانية في حركة مؤتمر الخريجين؟

أسباب اختيار الموضوع:

1. جمع ما توفر من معلومات عن حركة الخريجين منذ بدايتها في دراسة واحده.
2. الإسهام في إيضاح الدور الذي لعبته حركة الخريجين في نبذ الفردية وتكوين روح الجماعة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. التعريف بدور الخريجين في تثقيف وتوعية المجتمع السوداني.
2. إبراز دور الخريجين في تنمية روح الجماعة ونبذ روح الفردية.
3. معرفة دور الجمعيات الأدبية والفكرية في إنجاح حركة الخريجين.

مشكلة البحث:

حركة الخريجين في السودان منذ عام 1918م في المجال الاجتماعي والثقافي وإلي أي مدى ساعد هذا في تطوير الوعي المجتمعي ومدى التفاعل الذي وجده المجتمع السوداني عندما نشأ مؤتمر الخريجين.

منهجية البحث:

المنهج المتبع لهذا البحث هو المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي من ترتيب ووصف وتحليل للحقائق التاريخية.

حدود البحث:

الحدود الزمانية: من بداية نشأت الأندية للخريجين في عام 1918م حتى تكوين مؤتمر الخريجين العام في عام 1945م.

الحدود المكانية: جمهورية السودان.

الحدود الموضوعية: حركة الخريجين فى السودان.

الدراسات السابقة:

أ/ دراسة عايدة مجذوب كمال الدين :

بعنوان الإدارة البريطانية في السودان من 1925 – 1951م. ماجستير غير منشور– 1989م جامعة النيلين. تناولت في الفصل الخامس مؤتمر الخريجين في السودان في الفترة من عام 1936– 1947م واثر المعاهدة الإنجليزية المصرية علي الوضع في السودان كما تناولت مؤتمر الخريجين ومذكرتهم عام 1942 والصراع بين الخريجين لكنها لم تتناول دور الخريجين بصورة واسعة.

ب/دراسة إجلال احمد عز الدين محمد :

تاريخ الحركة الطلابية السودانية وموقفها ونظام الحكم في السودان من عام 1934 – 1985م – ماجستير غير منشور سنة 2006م جامعة النيلين. تناولت الحركة الطلابية السودانية من إضراب طلبة كلية غردون والنشاط الطلابي وقيام الجمعية الثقافية والإصلاح والمبحث الثاني عن مؤتمر الخريجين بصفة عامة.

ج/ دراسة حلمي جرجس غبريال مقار:

موقف الإدارة في السودان من نمو الحركة الوطنية خلال الحربين العالميين من 1914–1947م – دكتوراه غير منشوره ، جامعة النيلين– تحدث في الفصل الخامس عن نضوج الحركة الوطنية عام 1936 حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كما تحدث عن مؤتمر الخريجين بصورة موسعة.

مصادر البحث:

الكتب والمراجع والمجلات والرسائل الجامعية.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: تأسيس أندية الخريجين ودورها الثقافي.

المبحث الأول: نادى الخريجين بأم درمان.

المبحث الثاني: الحركة الفكرية.

المبحث الثالث: جمعية اللواء الأبيض.

الفصل الثاني: ثورة 1924م.

المبحث الأول: ثورة طلبة المدرسة الحربية.

المبحث الثاني: ثورة 1924م.

المبحث الثالث:ثورة 1924م في الميزان.

الفصل الثالث: الحركة الوطنية بعد ثورة 1924م.

المبحث الأول: المدارس الفكرية.

المبحث الثاني: النهضة الأدبية.

المبحث الثالث: ردود الفعل المصري والبريطاني.

الفصل الرابع مؤتمر الخريجين العام 1938م –1945م.

المبحث الأول: شمولية المؤتمر.

المبحث الثاني: الزعامات التقليدية وموقفهم من المؤتمر.

خاتمة

1. أهم ما توصلت إليه من خلال البحث.
2. أهم نتائج الدراسة.
3. التوصيات.

تمهيد:

خرج أهل السودان من هزيمة الدولة المهدية تتجاذبهم شر الانفعالات ، وجاء الاستعمار بسطوتة وجبروته وباشكال من الحكم فيها جدة وباساليب من الحداثه وحكم القانون ، وبنيات اساسية ومؤسسات مستحثة ولكنه جاء ايضا بحكام لهم سحنه ولغة يألفوها أهل البلاد.

والحكم البريطاني كان حكماً أجنبياً وهو جدار ينتصب امام تحقيق الحكم القومي ، واصبح الحكم البريطاني الأجنبي هو الهدف الاساسي الذي تطورت المشاعر القومية. شهدت الفترة من 1899م إلي 1918 عددا من حركات المقاومة التي تعبر عن رفض الحكم الجديد منها الحركات الدينية والقبلية والإقليمية. واتصف اغلبها بالتحرك العفوي، وضعف التنظيم والإمكانيات، مما مكن الحكم البريطاني من القضاء عليها في يسر. وكانت الحركات الدينية أول أشكال المعارضة للحكم البريطاني. وينطلق اغلب قادة تلك الحركات من ادعاء المهدي المنتظر أو النبي عيسى. أما الدعوات المهدوية فهي تأكيد على أن الفكرة لم تنتهي تماما رغم الهزيمة العسكرية التي منيت بها الدولة المهدية في كرري.

أما دعوة النبي عيسى فهي امتداد للحركات الألفية التي شهدتها مناطق من العالم الإسلامي. وتقول الدعوة الألفية انه قبل نهاية العالم سيأتي الدجال، ثم يعقبه الظهور الثاني للنبي عيسى الذي يقتل الدجال. وبعد ذلك يتحول العالم كله إلى الإسلام. وتبرز دعوتا المهدية والألفية دور الدين في نفوس الناس باعتباره الأفق الوحيد المتاح أمامهم حينئذ ويمكنهم ان يروا فيه الخلاص.

في غضون هذه الفترة أخذت طبقة أخرى تجتاز طور التكوين والنشوء، وتلك هي طبقة الجيل الحديث في السودان، حديث في الترتيب الزمني، وحديث لأنه الجيل الذي نال قسطا من العلوم العصرية ونال حظا أوفر من التدريب والصقل في دواوين الحكومة، وبدأ ينظر إلى الحياة وإلى المجتمع السوداني بمنظار عصري ويقدره تقديراً عصرياً وهو مزيج من الثقافة الدينية السليمة، ومن الثقافة الأوربية الجارفة.

بدأ أفراد هذه الطبقة وهم إذ ذاك قلة محدودة ، يحسون إحساساً غريباً بكيانهم في الحياة ، كما يحسون بما لهذا الكيان من الحقوق وما يقع عليه من التبعيات والأعباء التي ترتفع في خيال الشباب وبمقاييس الشباب إلى درجة الإيمان والعقيدة، ترخص في افتدائها الأموال والمهج.

الفصل الأول
تأسيس نادي الخريجين ودوره الثقافي

المبحث الأول: نادى الخريجين بأم درمان.

المبحث الثاني: الحركة الفكرية.

المبحث الثالث: جمعية اللواء الأبيض.

المبحث الأول
نادي الخريجين بأم درمان

تختلف الحركة الوطنية عن حركات المقاومة التي سبقها وذلك بحكم ما حدث في السودان من تغير في مجال الإدارة والاقتصاد والتعليم مما جعل الحركة تأخذ شكلاً جديداً يميزها عن الحركات السابقة من ناحية القيادة وأسلوب العمل السياسي وتوفر سبل الاتصال والتنقل في الداخل والإلمام بما يدور في مصر والخارج وخاصة إبان الحرب العالمية الأولى كما أن الإنجازات التي حققتها دولة الحكم الثنائي في مجال الإدارة والاقتصاد بإقامة دواوين الحكومة والمشاريع الكبرى في مجال الري والزراعة والمواصلات وربما نبهت السودانيين إلي إمكانية الانفراد بحكم بلادهم والاستفادة من هذه الإنجازات وتطويرها. وفي حين أن الحركات السابقة لم تجد مجالاً إلا في الأقاليم نجد الحركة الوطنية الحديث قد نشأت في المدن حيث الكثافة العمالية ووجود الموظفين وطلاب المدارس والمثقفين.

يحدثنا بعض المعاصرين ، من شباب الأمس وشيوخ اليوم ، إن جماعة المدرسين بمدرسة أم درمان الابتدائية قد صح عزمهم، عام 1914م ، على تأسيس نادى تضم عضويته زمرة المتخرجين من المدارس السودانية. وان هذا المشروع قد تأجل لانشغال رجال حكومة السودان إذ ذاك بثورة الحرب العالية الأولى. ما أن وضعت الحرب أوزارها حتى بعثت الفكرة وسارت في طريق التنفيذ حثيثا.[1]

أنشئ أول نادي في السودان عام 1918م ، هو نادي الخريجين بام درمان ، والذي قال فيه رئيسه الانجليزي مدير كلية غردون وقتذاك المستر سمسون* ، في خطبة الافتتاح فيما قال (أن هذا النادي سيلعب دوراً هاماً في تاريخ هذه البلاد) وقد أنطقه الله تلك الكلمات البليغة في ذلك اليوم التاريخي المجيد ، يوم تأسيس أول نادي للخريجين بأم درمان وقد كان

---

(1) احمد خيري المحامي ، كفاح جيل ، الدار السودانية للكتب ، 2002م ، ص 14.

* هو اول رئيس للنادي الخريجين.

من أهم شروطه أن يرأس بريطاني جلساته واختاروا لرئاسة مدير الكلية بحكم صلته بالخريجين ، طلبته في الماضي.[1]

وكان الخريج يعني اي شخص تخرج او درس الكتاب او المدرسة الأولية ، وقد أحدثت حركة الخريجين في مرحلتها الباكرة شكل الأهتمام الادبي بالتراث الإسلامي.[2]

جرت عادة نادي الخريجين علي ان يقيم حفلاً للخريجين الجدد كل عام يرحب فيه الخريجين في ميدان الحياة ويخطبهم لعله يجد فيهم سنداً وعوناً او نشاطاً في ميدانه واصبح الحفل احتفالاً.

وكان النادي في تلك السنين وما بعدها لا يجد متنفساً إلا في المناسبات والأعياد فيقيم الاحتفلات.كما يحتفلون بالعام الهجري وبالمولد النبوي وبالأعياد وكانت علاقة المثقف هي الاهتمام بالصحافة المصرية والإطلاع عليها ومعرفة السياسة المصرية ، والحقيقة أنها كانت مصدر الثقافة والآدب والعلم لم تكن في السودان جريدة او مجلة غير حضارة السودان التي كانت اشبه بالجرائد الرسمية وكانت مظاهر العلم والثقافة هي الاطلاع علي الصحافة المصرية والمجلات الأدبية وعلي راسها انذاك السياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعي وقد كانت هذه المجلات بعد ان أظهرت الرسالة والثقافة تمثل مدارس فكرية وأدبية كان لها أثر بعيد في تهيئة الشباب للآدب وكان علي رأس السياسة الأسبوعية الدكتور هيكل حسين وعلي رأس البلاغ الاسبوعي عبدالقادر حمزة باشا كاتب الوفد الرزين والسياسي النظيف ، يجتمع في النادي الخريجون الذين اكملوا تعليماً خاصاً لا يهم اتجاههم الفكري او السياسي ولذلك يجتمع النادي عدداً من المنافقين والمخبرين والمتقولين وليس هؤلاء من ميدان الشباب الذي يريد ان

---

(1) مذكرات أحمد يس ، مركز محمد عمر بشير ، أم درمان دار عزة للنشر والتوزيع ، ص15.

(2) جعفر محمد علي بخيت ، الإدارة البريطانية ، الحركة الوطنية في السودان 1919م– 1939م ، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة ، ط2 ، السودان ، 1987م، ص 27.

يتكلم وان ينتقد وان يخوض في السياسة وان يهيي الناس ليحسوا بما حولهم من مأسي ومظالم.[1]

وهناك جمعيات اشبه بالنادي وأول جمعية سياسية جماعة مكولي*[2] أي قراءة الأدب الانجليزي Mackaly ، وغرض الجمعية انتفاع بالنشاط عند الشباب وتوجيهة للأعمال الجادة والتي تسوق في النهاية الي العمل السياسي.

جمعية القراءة : هذه الجمعية انشأها الابروفيون*[3] فيما بينهم لأغراض سياسية أدبية متعددة كانوا يختارون كتاباً عربياً او انجليزياً ويجتمعون مرتين في الاسبوع كل مرة في منزل واحد منهم.[4]

تشكلت بنادي الخريجين بأم درمان أولى خلايا المثقفين السودانيين في العام 1918م وظل النادي يواصل نشاطه المهم في بعث قضية الوطن. ومن ضمن تلك القضايا تبنى النادي إنشاء المدرسة الأهلية بأم درمان في العام 1927م وحينها انتشرت الأهزوجة الوطنية للشاعر يوسف مصطفى التني "الفؤاد ترعاه العناية". [1]

واختاروا للرئاسة مدير الكلية بحكم صلته بالخريجين، طلبته في الماضي، نقول انطقه الله تلك الكلمات وكأنه كان ينظر إلى المستقبل البعيد، غير أنني لا أرى عجبا في ذلك. فالمستر سمسون مع تمرسه ودرايته بطلبته الذين عايشهم في الكلية كان قبل مجيئه للكلية من المشرفين على التعليم في مصر، و قد رأى هناك ما فعلة نادى المدارس العليا في مصر، فهو الذي استنهض الهمم وألهب المشاعر. ومن هناك تخرج مصطفى كامل وسعد زغلول

---

(1) خضر حمد ، مذكرات خضر أحمد ، الحركة الوطنية الاشتراك وما بعده ، الطبعة الأولي 1980 ، ص25.

(2) مكولي جمعية لقراءة الادب الانجليزي بمنزل الدكتور علي خير بالخرطوم.

(3) الابروفيون: هم من حي ابوروف سمي لنزاعاهم الادبية وافكارهم الاشتراكية.

(4) مذكرات خضر أحمد ، ص30.

(5) رشا در نوني ، الحركة الاستقلالية في السودان القرن العشرين ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خضير ،الجزائر ، 2015م، ص 72.

وزملاؤهما ، وقد لمس مستر سمسون بنفسه اثر نادى المدارس العليا على النهضة السياسية المصرية التي تحولت إلى ثورة عارمة عام 1919م وعام 1924م. وظلت تستقد جذوها حتى نالت مصر دستورها وحققت حريتها. فليس عجيبا إذن أن لعب نادى الخريجين بأم درمان نفس الدور في الوقت المناسب.[1]

وتجدر الإشارة إلى أنه بينما كانت الرؤية حيال المؤتمر ضبابية بالنسبة لكثير من الخريجين، فقد كانت (واضحة وضوح الشمس) لجماعة أبي روف، ومدرسة واد مدني الأدبية بزعامة أحمد خير، التي كانت تنظر بعين السخط إلى حصر المطالب الوطنية للمؤتمر في الوظائف والترقيات، وتدعو إلى تكوين مؤتمر لا يكون للخريجين فحسب بل برلماناً حقيقياً لكل الشعب السوداني.

(1) احمد محمد يس ، مذكراتي، طباعة دار عزة للنشر والتوزيع، ام درمان، السودان ، ص 16.

المبحث الثاني
الحركة الفكرية

بتأسيس النادي بدا الجيل الحديث في السودان يشعر بكيان مستقل في المجتمع السوداني وانحصر جهده وجهاده لبضع سنوات في تحقيق غرض واحد وهو محاولة انتزاع أزمة القيادة الشعبية من الزعماء الدينين. ولقد كانت مظاهر هذا النضال، شن الحرب العلنية أما في أكثر الأحايين، على الحركة الصوفية، ولقد ساهم بأكبر نصيب فيها أعضاء هيئة التدريس الذين وجدوا في طلبة المدارس والناشئة في الأندية، تربة صالحة لغرس بذور دعوتهم وتعهدها، واعتمدوا في نضالهم على سلاح المنطق والجدل العقلي. وكانوا ينادون بتحرير الفكر وانطلاقه من قيود العادات ورواسب التقاليد الفاسدة وأوهام الخرافة التي ليست من الدين في شيء. [1]

التأمل في هذه الظاهرة وعلى ضوء ثقافة تاريخية واجتماعية ناضجة يلحظ في ثناياها أغراض دعوة الطليعة من أحرار الفكر الذين انبعثوا في إرجاء اروبا وأحدثوا تلك الثورة الفكرية التي مهدت السبيل لحركة (الإصلاح الديني) وما تلاها من انقلابات وحروب وثورات قفزت بالمجتمع الأوربي من ظلمات القرون الوسطى إلى نور الحضارة الحديثة. وهو أيضاً الاتجاه الذي سلكته مصر والشرق العربي بزعامة جمال الدين الأفغاني وتلميذه الإمام محمد عبده. ، إلا أن التساؤل: هل كان الخريجون في مناهضتهم للصوفية في السودان مندفعين بغريزة المنافسة لانتزاع القيادة من الزعماء الدينين وكانوا في دخيلة أنفسهم يثيرونها حربا طبقية سرعان ما انسحبوا منها وتنكروا على مبادئهم وزملائهم عندما مدت أليهم الصوفية أيديها وارتبطت مصالح زعمائهم معها، شانهم في ذلك شان الانتهازيين في كل زمان ومكان. يبدأ الواحد أول حياته مكافحا في سبيل الحرية والمثل العليا، حتى إذا ما أرضى طموحه الشخصي، واستجابة مطالبه الذاتية انخرط في سلك المؤيدين وتهاون مع خصوم مبادئه ومثله

(1) بشير محمود بشير ، مؤتمر الخريجين ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر الخرطوم ، 1998 ، ص 42.

وانتهى به الأمر أخيرا للجلوس في مقعد وزير في صفوف الهيئة الحاكمة ويسبق اسمه، وتتبعه رتبة.

أم أن الجماعة البشرية ، وان اختلف بها الزمان والمكان، تسير في موكب الحياة في طريق مرسوم لا معدي عنه لذلك كان لابد قبل الحصول على الحرية السياسية للأفراد والجماعات من العمل على تحرير العقول من عقابيل الخرافة والأوهام الراسية وفك العقد النفسية وإذا كان الأمر كذلك أفلم يان للإنسان، بحكم الإنسانية، أن يتعظ بسوابق أخيه الإنسان ويلحق بركب الحضارة دون أن يتعرض للمحن والتجارب التي تعرض لها سلفه من ثورات وحروب[1].

برز الوعي وتطور في المدن حيث تضعف الروابط القبلية، وتتوفر العوامل التي تعمل على شحذ الشعور القومي، وتهيئة المناخ له ليفصح عن نفسه أيديولوجيا. وكان المتعلمون هم الذين يمتلكون قدرات الإفصاح والتعبير. وتضعف الروابط القبلية بين أولئك المتعلمين، مما يسمح بنشأة روابط جديدة ينفذ من خلالها الشعور القومي. ويمنحهم كل ذلك مصدر الصدارة والقيادة. فالمتعلمون هم الذين يعبرون عن الوعي القومي للطبقة الوسطى التجارية. لكنهم لا يعبرون عنه ميكانيكيا واليا. فالفكر له استقلاله النسبي. لكنه لا ينبت تماما عن الواقع الموضوعي الذي افرزه وحكم صياغته فالعلاقة بين أيدلوجية الوعي القومي والطبقة الاجتماعية التي تشكل قاعدة ذلك الوعي، علاقة متينة ولكنها أيضاً علاقة جد معقدة.

ولم تكن المؤثرات الداخلية تعمل بمعزل عن المؤثرات الخارجية. فهناك الصراع بين بريطانيا ومصر، وهما طرفا الحكم الثنائي. ولكن مصر كانت شريكا اسميا فقط ، بل مصر خاضعة للسيطرة البريطانية. وتوجد بين مصر والسودان رابطة اللغة والدين والتجارة.وتلك قنوات وصل افتقدها البريطانيون. فعندما اشتد الصراع بين مصر وبريطانيا حول السودان، وجدت الحركة

(1) احمد خير المحامى، المرجع السابق ، ص 15.

الوطنية في ذلك الصراع منفذا، فمرقت من خلاله متكئة على مصر الشريك الضعيف في الحكم. ولم يكن الاتكاء على مصر لتلك الروابط المشتركة فحسب، بل أيضاً لتصاعد الحركة الوطنية المصرية المعادية للوجود الاستعماري. (1)

كانت آثار ثورة 1919م في مصر باقية ، قد ينتقل حماسها من المصريين إلى هؤلاء السودانيين الذين إرادتهم الإدارة الإنجليزية موظفين يساعدونها ضد المصريين ويحلون محلهم في الوظائف والأعمال، في هذه الأثناء برز نشاط الخريجين وصارت كل طائفة تسعى لان يكون لها أنصارها ومريديها، من هؤلاء كان نادى الخريجين كانوا من تلاميذ كلية غردون. (2)

ومن هنا ظهرت جماعات من الشعب السوداني خاصة صغار الموظفين والطلاب في المدن تتصدى للفكرة الوطنية وتظهر تمسكها بوحدة وادي النيل وجلاء الإنجليز عن شطري الوادي جنوبه وشماله، وقد تأثر هؤلاء في تكوينهم الوطني بالمصريين المقيمين بالسودان ولا عجب في ذلك اللغة والدين والارتباط الاجتماعي والكفاح ضد عدو واحد هو الاحتلال البريطاني، كل ذلك ساعد على ارتباط السودانيين خاصة أبناء الطبقة المتوسط الذين نالوا حظا من التعليم الحديث بالمصريين في المراكز المتحضر خاصة في العاصمة، وفي الفرق العسكرية ، وفى مصالح الحكومة حيث كان الموظفون السودانيون يعملون جنبا إلى جنب مع الموظفين المصريين (3).

كما أن التعليم الذي أفاضه الأساتذة المصريون على السودان لم يكن دون تجارب مع الأبناء الذين تلقوه بصدور واعية، قرأ السودانيون باللغة العربية والإنجليزية التاريخ العالمي فكان طبيعيا أن يتفاعلوا بدروسه عظاته وفلسفته من حيث يدرى البريطانيون أولاً يدرون إلي ان جانب السودانيين الذين سافروا إلى مصر ينهلون من العلوم في الجامع الأزهر ويتأثرون

---

(1) محمد سعيد القدال، المرجع السابق ، ص 427

(2) عبد الوهاب محمد الزنتاني، أزمات السودان بين الديمقراطية والدكتاتورية، دار غريب للنشر، القاهرة ، 2004م ، ص 108.

(3) رأفت غنيمى الشيخ ، مصر والسودان في العلاقات الدولية ، مكتبة الدراسات التاريخية، القاهرة 1979م. ص 366.

بنمو الروح الوطنية والقومية في مصر، كما أن خضوع أبناء السودان للتعليم الحديث الغربي، والاحتكاك مع المقومات الثقافية، والسياسية لأوربا الغربية ساعد على تفتيح أذهانهم باعتبارهم من أبناء الطبقة المتوسطة على مفاهيم الحرية والديمقراطية والاستقلال، وابتعدوا شانهم شان نظرائهم في أنحاء الشرق الأوسط وأفريقيا عن روح القبلية هذا يعنى أن الروح القومية وجدت أرضاً خصبة في السودانيون الذين بدأوا يظهرونها عقب الحرب العالمية الأولى[1].

ويمكن أن نضيف إلى عوامل تأثر السودانيين بالروح القومية ما رأوه من إجحاف بهم وبإخوانهم المصريين أثناء الحرب العالمية الأولى الذين تحملوا كثيرا من النفقات المالية والعينية لإمداد القوات المتحالفة بالمؤن الغذائية أثناء المعارك في منطقة الشرق الأوسط، إلى جانب اشتراك قوات مصرية سودانية في تلك المعارك إلى جانب القوات الإنجليزية على أمل أن يطبق الإنجليز النقطة الثانية عشرة من نقاط الرئيس الأمريكي ويلسون الرابع عشر والداعية إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وتنكر الإنجليز لهذا الحق بعد انتهاء المعارك الحربية ولم يتحقق للسودانيون والمصريين الاستقلال في ظل وحدة وادي النيل.

كما أن زعماء ثورة 1919م، وأعني سعد زغلول وزملائه، رغم ما أصابهم من سجن ونفى ومطاردة على يد السلطات البريطانية كانت مطالبهم الاستقلال التام لمصر والسودان، بينما تمسك الإنجليز وعلى لسان لورد ملنر صاحب اللجنة المشهورة التي زارت مصر عقب ثورة 1919م بان مسالة السودان منفصلة تمام الانفصال عن القضية المصرية وأن السودان سيتطور منفصلا عن مصر تحت الرعاية الإنجليزية التي تضمن لمصر وصول مياه النيل. وكذلك كان لانتشار خبر ثورة 1919م المصرية إلى السودان وما فعلة المصريون بقوات الاحتلال البريطانية مثار إعجاب السودانيين وحافزا للمصريين والسودانيين معا على التحرك بالمظاهرات وإلقاء الخطب مطالبين بالاستقلال الكامل لوادي النيل، وقد شارك فيها الضباط

(1) ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، مكتبة الحياة المكتب العالمي ، لندن 1968م ، ص243.

المصريون في الخرطوم ، ورجال السكك الحديدية وموظفو البرق والبريد وغيرهم من الموظفين في الخرطوم وعطبرة وبورتسودان ، وإلى جانب كل هذه التحركات نظمت حملة في الخرطوم للحصول على المعونة لضحايا الثورة المصرية على يد البريطانيين، وقدم طلب بهذا إلى القاضي الأكبر، وتشكلت لجنة من السيدات المصريات بالخرطوم وأذاعت نداء بطلب العون من السودانيين. فإذا أضفنا إلى هذا دور صحيفة اللواء الناطقة بلسان الحزب الوطني المصري لفضح المخططات البريطانية لفصل السودان عن مصر وإبقائه خاضعاً للنفوذ الإنجليزي ، وانتقال ما تنشره هذه الصحيفة إلى أيدي أبناء السودان في مصر والسودان، كما أن الطبقة المثقفة في السودان تقرأ وتهتم بأخبار المناضلة المصرية وتمسكهم بان لا تنفصل قضية السودان عن قضيتهم ، وتسمع أخبار البطولات والتضحيات في أسفل الوادي وخطب زعماء الثورة النازية وتتقصى أخبارهم في الجرائد المصرية، وموقف الإنجليز لا يطمئنهم لأنه اتجاه نحو الانفراد بإدارته وضمه لمستعمراتهم في النهاية، وهم يتخوفون من هذا المصير ولاسيما يرون عجرفة المفتشين البريطانيين ومطالبتهم حتى لكبار القوم خلع النعال عند دخول مكاتبهم والوقوف لهم بالتحية عندما يمرون راكبين صهوات جيادهم، وفوق كل ذلك فكل الوظائف ذات المسئولية وقف عليهم، فلا مشاركة في الحكم ولا تأهيل لهم في المستقبل[1]

اندلعت الثورة البلشفية عام 1917م وتطاير منها شرار إلى بقاع المعمورة النائية ومن بينها السودان. ورغم البداية المتواضعة، فقد تلاحقت الثورة تلاحقا لا تخلو من إثارة بسبب تلك العوامل، التي دفعت الحركة الوطنية إلى مراحل جديدة امتدت من 1918م إلى 1924م.

الجمعيات السرية:

انبثق الوعي وسط المتعلمين الذين وفدوا من مختلف مناطق البلاد واخذوا يبحثون عن روابط جديدة تجمعهم. وأصبحت هناك حاجة ملحة لتكوين ناد يلم شملهم أن نادى

(1) مكي شبيكة، مرجع سابق ، ص461.

الخريجين[1] المدارس الذي تأسس عام 1918م كان منبرا بسيطا لتعبير عن تلك الروح الجديدة، وكان لابد له في تلك المرحلة من أن ينشا تحت مراقبة الإدارة البريطانية وعينها الفاحصة. فكان نشاطه محدودا يعبر عن قدرات المرحلة التاريخية وآفاقها فكان الخريجون يحتفلون بالمناسبات العامة مثل الأعياد الدينية التي تشدهم للتراث، أو تأبين الشخصيات العامة ذات الوزن الاجتماعي، لان الشخصيات اللامعة تمثل في مجري حركة الوعي معلما يساعد على بلورة المشاعر القومية في غيبة أكثر المعالم جلاء وسطعا. وتمثل العودة إلى التراث وإلى الماضي التليد أداة تشذ المشاعر القومية وتمنيها وجدارا يتكي عليه الناس من الضياع والانسياب في لجج الثقافات الوافدة عليهم التي قد تغيب هويتهم. وبرز شعراء وكتاب يجيدون التعبير باللغة العربية. وكان شكلا من أشكال تمتين انتمائهم العريض إلى الغرب، ومرتكزاً انطلقوا منة إلى تحديد جذور قوميتهم السودانية. فلم يكن جماعة نادى الخريجين يعبرون عن الوعي القومي في أشكال سياسية محددة ولا في نبرات عالية ، إنما كان النادي منبراً افرز فيه الخريجون بعض مشاعرهم القومية، ولكنه كان في ذلك الشكل البسيط أساساً ونقطة انطلاق.وقد أورد الأستاذ حسن نجيلة ان النادي وأقام حفلة تأبين لأحد الأساتذة المصريين الذي كان يدرس في كلية غردون، وأقيم احتفال آخر لتأبين الشيخ محمد عمر البنا في رثا ابنه عبد الله وأقام النادي احتفالا بالمولد النبوي وبلغ ذلك النشاط قمته في التلاحم بين الوطنية والديانات عندما وقف شاب مسيحي هو صالح وألقى قصيدة في العام الهجري وبعث الفتى المسيحي بقصيدة إلى جريدة الحضارة، يستحث فيها المسلمين للإسراع بإكمال بناء مسجد أم درمان الكبير.وتشكل المقالات التي كتبها الصحفي حسين شريف بين 1919م_ 1920م أحدى بواكير الوعي. فكتب سلسلة من المقالات عن النهضة الوطنية وكتب عن الوحدة في ظل الأوطان يقول وحدة الأمة هي جمع كلمتها تحت غاية واحدة ، أما إعزاز

---

(1) محمد سعيد القدال ، مرجع سابق ، ص 429.

الوطن وإعلاء الجنس، أو تأييد أو ترقية اللغة، ولكل وطنية من هذه الوطنيات الأصيلة مظاهر عديدة لعبت ادوار مجيدة في التاريخ. وكتب سلسلة من المقالات عن المراة السودانية وانشأ حسين شريف مع مجموعة من السودانيين هم السيد عبد الرحمن المهدي ومحمد الخليفة شريف وحسن الخليفة شريف وعثمان صالح ومحمد عكاشة وحسن أبو وعبد الرحمن جميل، شركة مساهمة وأصدروا أول صحيفة سودانية لحما ودما وروحا، وسموها حضارة السودان[1].

صدرت الحضارة في فبراير عام 1919م. وركزت الجانب الأكبر من اهتمامها على القضايا الاجتماعية والمشاكل المحلية. وقاد حسين شريف حملة قومية لإنشاء صندوق خيري أهلي لتوسيع التعليم العام وإعانة الطلبة الفقراء. وانتقدت الحضارة العادات والنقائص الاجتماعية. أما التعليق السياسي المباشر، فلم يحتل المكانة الأولى في أول عهدها، ولكنه ما لبث تحت وطأة التطورات السياسية أن احتل الصدارة وأصبح الطابع المميز لها. وتوقفت الحضارة في نهاية عام 1919م، لتعاود الصدور عام 1920م باسم الشركة التي أنشاها الزعماء الطائفيين الثلاثة وهم على الميرغنى وعبد الرحمن المهدي ويوسف الهندي. وكانت دوافع ذلك التغير سياسية، هدفها الوقوف في وجه مطالب ثورة 1919م المصرية ووحدة وادي النيل كما تزامن ذلك التحول مع عودة الزعماء الدينيين والقبليين من لندن.ومن خلال ذلك النشاط الأدبي والاجتماعي والثقافي، أصبح للمتعلمين صوت، وأصبح لهم منبر ثابت هو نادي الخريجين. ولكن لا ذلك الصوت ولا ذلك المنبر، كانا كافيين لتعبير عن المشاعر الوطنية التي بدأت تطل في أفق الحياة وأجوائها. فكان لابد من بروز أصوات أعلى نبرة ومنابر أكثر جرأة.

جمعية الاتحاد السوداني:

---

(1) محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 429.

في عام 1920م ولدت جمعية الاتحاد السوداني قي أم درمان من طلبة وخريجي كلية غردون. وكان أعضاؤها المؤسسون هم عبيد حاج الأمين وتوفيق صالح جبريل ومحي الدين جمال أبو سيف وسليمان كشة وإبراهيم بدري. وبدأوا اجتماعهم لسماع الشعر والموسيقى. وجمعية الاتحاد السوداني أول تنظيم سياسي في تاريخ السودان الحديث. ويتم الانضمام إليها على أساس الاقتناع السياسي وليس القاعدة القبلية أو الكيان الطائفي أو الرابطة العرقية أو المشاعر الدينية. فهي تنظيم ينظر إلى السودان كله متخطيا الإقليمية والقبلية. والاسم الذي اتخذته يحمل ذلك الطموح طموح الوحدة للسودان كله. وكانت الجمعية تنظيما غير طائفي، فمازالت ذكريات الدولة المهدية وممارساتها القمعية عالقة بالأذهان. كما أن المؤسسات الدينية والطرق الصوفية الكبيرة ضالعة مع الاستعمار. كان أعضاؤها مشدودين إلى التراث الإسلامي ولكنها كانت تنظيما علمانيا.[1]

نشطت هذه الجمعية التي صار شعارها "السودان للسودانيين والمصريين أولى بالمعروف " في توزيع المنشورات التي تهاجم الحكم البريطاني، ونجحت في إرسال بعض الطلاب السودانيين لإكمال تعليمهم بمصر، وكانت تلك الخطوة في حد ذاتها مجازفة خطيرة من وجهة نظر الإنجليز، فالطالب الذي يفر من كلية غردون لمواصلة تعليمة في مصر يعتبر في نظر الحكام البريطانيين مجرم لا ينصب غضبهم علية وحده بل ليتعداه إلى أهله وأصدقائه ومن يظن أنهم عاونوه في الهرب. استمرت حركة المنشورات والجمعيات الوطنية ضد التسلط الإنجليزي تلك الحركة التي بدأت بظهور منشورات تنتسب لما عرف باسم "جمعية الأعمال المسلحة " في أكتوبر 1919م تنادي السودانيين بالاتحاد مع المصريين في مقاومة الاحتلال الإنجليزي، ومنشورات تحمل توقيعات اليد السوداء واليد البيضاء تدعو فيها الزعماء والعمد والتجار إلى عدم التعاون مع السلطات البريطانية المستغلة لخيرات السودان، وتهدد

---

(1) محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 429.

هذه المنشورات في نفس الوقت باغتيال المدير العام البريطاني ومساعده لسكك حديد السودان.كذلك ظهرت في أنحاء السودان منشورات بتوقيع جماعة العلماء بمناسبة زيارة اللورد اللبني المندوب السامي البريطاني في مصر للسودان في يناير 1921م، تدعو السودانيين إلى التعاون مع إخوانهم المصريين لطرد الدخلاء أعداء الإسلام من كل من مصر والسودان. وشاركت جمعية العمل على خلاص البلاد في فضح سياسة الاستغلال البريطانية لمشاريع ري الجزيرة وجبل الأولياء وتهاجم كل الأعمال التي يشترك فيها راس المال البريطاني. كما شاركت جمعية الدفاع عن الدين فى السودان فى حملة المنشورات ضد السلطات الإنجليزية، بمهاجمة السياسة البريطانية في الشرق الأوسط والسودان على أساس أنها موجهة ضد الإسلام، وتدعو المسلمين إلى الجهاد ضد الإنجليز. [1]

---

(1) رأفت غنيمي ، المرجع السابق ، ص 370.

المبحث الثالث
جمعية اللواء الأبيض

جمعية اللواء الأبيض وهي إحدى الجمعيات السرية التي كانت تعمل على بث الوعي القومي ، فمن العسير التعرض لها بشيء من التفصيل بعد أن صادرت الحكومة جميع المستندات، وجعل أكثر من بقي من رجالها حرا طليقا يضفى ثوبا من ذاتيته على التاريخ يبدو فيه الحرص على الاستئثار بأكبر نصيب مما خلفته تلك التراث، لا جدال في انه سيبقى موضع التقدير والإكبار على مر الأيام. (1)

وكان ظهور الضابط على عبد اللطيف على مسرح الثورة الوطنية بالسودان علامة بارزة في الحركة الوطنية فهو من أبوين من جنوب السودان من قبيلة الدينكا وان جاء مولده بحلفا وتعليمة بالخرطوم حتى تخرج من المدرسة الحربية عام 1914م برتبة ملازم ثان حيث خدم في الكتائب السودانية التي يقودها ضباط بريطانيون. (2)

استفاد على عبد اللطيف من خلفية والده العسكرية ومن فرص التعليم التى فتحها النظام الجديد وتنقل في مراكز الجيش المختلفة. واصطدم مرة بأحد الضباط البريطانيين، عندما أساء إليه ولم يقبل على عبد اللطيف الإساءة، فقدم إلى مجلس تأديب. ثم نقل إلى واد مدني، حيث كون جمعية اتحاد القبائل السودانية، التي كانت تدعو إلى سودان مستقبل. ويتصح من اسم الجمعية وشعارها، معالم ذلك الوعي القومي وملامحه.وفى مايو 1922م أرسل على عبد اللطيف مقالاً إلى جريدة الحضارة بعنوان مطالب الأمة. وهاجم فيه الاستعمار البريطاني ونادي بحق السودانيين في تقرير مصيرهم. وذكر نفس المظالم التي كانت تنادى بها حركة المعلمين. وطالب بإنهاء الحكم الأجنبي مستقبلاً عبارات ملتهبة. وقد وصف تقرير الذي راس اللجنة التي شكلت لدراسة أسباب ثورة 1924م، مقال علي عبد اللطيف بأنه لا

---

(1) احمد خير، المرجع السابق، ص 19.

(2) رأفت غنيمى المرجع السابق، ص 371.

يحتوى على أي كلمة لصالح مصر، بل نادى بإنهاء الحكم الأجنبي، واشتمل على مشاعر صادقة يحس بها اغلب المثقفين. ويمثل فكر علي عبد اللطيف لبعض الدارسين، الالتزام بان السودان امة مستقلة وله كينونته القومية وحقه في تقرير مصيره على أن تكون هذه الأمة موحدة تشمل أهل الشمال والجنوب. ويرى على عبد اللطيف أن زعماء العشائر والطوائف لا يمثلون أهل السودان، لأنهم لا يمثلون الجنوب ولا الجنوبيين الذين يعيشون في الشمال فأفكاره تمثل الوعي القومي الذي كان ينمو بين المتعلمين بعيدا عن عصبية المنشأ والمنبت.

ولم ينشر مقال علي عبد اللطيف. فقد رفضت الجريدة نشرة كما علمت المخابرات بأمره مسبقا، فهاجمت مكاتب الجريدة وصادرت المقال. واعتقل على عبد اللطيف، وحكم عليه بالسجن لمدة عام والطرد العسكرية. ولعبت الصحافة المصرية دورا كبير في إظهار علي عبد اللطيف كبطل قومي، واهتمت بمحاكمته. وخرج من السجن بطلا قوميا. كان ذلك في الوقت الذي كانت فيه جمعية الاتحاد السوداني تعيش أزمتها التي أدت إلى انقسامها. فتلقفه عبيد حاج الأمين وضمه إلى مجموعته، وكونوا جمعية اللواء الأبيض في مطلع عام 1924م وتشكلت قيادتها من على عبد اللطيف رئيسا وعضوية عبيد حاج الأمين وصالح عبد القادر وحسن صالح المطبعجى وحسين شريف، وكانوا يمثلون خليطا من القبائل السودانية والأصول العرقية التي يتكون منها السودان.[1]

يقوم هيكل الجمعية التنظيمي على نظام الخلايا مثل جمعية الاتحاد السوداني. كما احتفظت بعض التنظيمات السرية السابقة. واعتمدت في تمويلها على رسم الدخول والاشتراكات والتبرعات والدعم الذي يأتيها من مصر.وكانت قاعدتها الاجتماعية في الأقاليم أكثر اتساعاً من جمعية الاتحاد السوداني. فتأسست لها فروع في الأقاليم امتدت حتى الأبيض وجبال النوبة. وضمت حرفيين وعمال ومزارعين. فأوكل إلى احمد صالح تنظيم وسط العمال

---

(1) محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 439.

في عطبرة، والي احمد باخريبة تنظيم المزارعين في الجزية. ولها تنظيم وسط الضباط يتكون كادرها المؤثر من مائة وخمسين عضوا ولكن تأثيرها ونفوذها الجماهيري اكبر من ذلك وتمكنت المخابرات من الحصول على أسماء 104 من أعضاء الجمعية، كان تكوينهم الاجتماعي كالأتي 40 من الخريجين العاملين في الدولة الافندية ؛ 27 ضابطا وضباط سابقين؛ 10 عمال ؛ 8 تجار ؛4 طلبة ؛ 4 قضاة ؛ 3 معلمين ؛2 نواب مامير. [1]

ولقد كانت الحركة في مجموعها صدى سودانيا للحركة التحريرية التي نهض بها المصريون في الشمال وكانت ترمي لإشراك السودانيين على مرأى ومسمع من العالم في نضال وادي النيل ضد الاستعمار البريطاني، وتسجيل سخط السودانيين واعتراضهم على بقاء الإنجليز في شطري وادي النيل، كان شعار السودانيين كما كان شعار المصريين آنذاك "تحيى مصر وكان يتقدم مظاهراتهم معلم ابيض عليه خريطة نهر النيل وفى جانبه الأعلى إلى اليسار الهلال ولقد ساهم في تأييد نفوذ هذه الجمعية بالاحتجاج والمظاهرات فروع في المدن الكبرى ولما كان أكثر أعضاء لجنتها الإدارية من موظفي البريد والبرق والتلفون فلقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً في نشر أخبار الجمعية وأوامرها وضربوا سياجا محكم الحلقات من الرقابة على رؤساء الحكومة وما ينون اتخاذه من الإجراءات. ولقد ناهض هذه الحركة، علاوة على شرطة حكومة السودان الذي زيد أضعافا من الاحتياطي، جماعة من المتخرجين السودانيين أكثرهم من المشايخ وبينهم بعض الضباط والموظفين المدنيين. وكان موقف هؤلاء ممثلا فيما تنشره حضارة السودان من هجوم شخصي على زعماء الحركة فوصفهم بصغر السن، عمتهم بقلة الإدراك والتجارب، مما يفيد ضمنا أن الرأي العام السوداني لم يكن مبدأ لقبول المطاعن في مبادئ الدعوة وأهدافها ولكنه قد يستثار من حيث انقياده لحفنة صغار الافندية. ولما كانت حضارة السودان صحيفة حكومية، إدارة وتحريرا، لم يكن لما تنضح به

---

(1) محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 439

أعمدتها أي اثر في النفوس، لذلك أوعز إليها رجال إدارة المخابرات في حكومة السودان بان تعيد في السودان نشر ما كانت تفيض به الوطن المصرية من حملات ومطاعن على سعد زغلول. لعلها افزع ما وجه إلى زعيم سياسي للشرق حتى اليوم. [1]

على أن المعارضين لحركة 1924م سرعان ما سقطوا صرعى وتلاشت جهودهم في اسم الوطنية الهائجة، لم يجدوا لهم سندا غير الحكومة وقوات الشرطة. والذي بقى مقبولا على الرأي العام حتى يومنا هذا ، إن المعارضين قد لازمتهم نزعة انتهازية، فقد وضع نفر منهم أم درمان وحرروا مذكرة إلى الحاكم العام يستنكرون فيها حركة 1924م ويؤكدون أنها لا تحظى بتأييد القيادة الرشيدة، والرجال المسؤلين في البلاد، ولا لها إلا الرعاع و الغوغاء. ومع ذلك فهي في ظنهم تكشف، بلا ريب، عن السودانيين بالنظام القائم وسخطهم عليه ويقترحون، لتهدئة الرأي العام، إدخال ملح في الوضع الإداري.

للتاريخ أن يتساءل . وقد التزم الصمت جميع أصحاب هذه المذكرة . هل كان هؤلاء مال يترسمون خطى إبطال تصريح 28 فبراير في مصر، ويهدفون للحصول على كسب مال يقدمون للجمهور لقاء القضاء على المد الثوري بثورة الفرقة وتصديع جبهة الأمة ؟لقد أثبتت التجارب في الوقت الحاضر على الأقل، أن قبول المكاسب الجزئية ولها للجمهور مع ترك الجهاز الحكومي في يد المستعمر هو الوقوف على أول درج قومه. والمساومة في المسائل الوطنية تلحق بها اشد الأضرار إذ تزيدها تعقيدا وتضعف الثقة بين القيادة والجنود فتتيح الفرص لدعاة الهزيمة أو أصحاب المطامع ليغيروا من أوضاع القضية ويطمسوا معالمها الأولى التي نهض على أساسها الشعب. فهل كان هؤلاء الثائرون على الثورة يعملون بوحي العقلية المعتدلة التي تنشا أصيلة في بعض النفوس، وتطرأ على البعض الآخر في سن الشيخوخة عندما تموت فيهم روح الكفاح ويستسلمون إلى إنصاف الحلول تبريرا لمواقفهم

---

(1)احمد خير ، المرجع السابق ، ص 21.

وحفاظا على منصب الزعامة الذي يصبح حقاً بعد أن كان وسيلة لتحقيق مطالب الشعب؟ هذه العقلية المعتدلة التي لم تخل منها الحركة الوطنية في أي زمان أو مكان ؟ أم كان هؤلاء الرجال يعملون بوحي من بعض العناصر الحكومية في السودان ؟ كل هذا سيبقى سرا إلى استجلاء كنهه بأمانة تاريخية ولكن هناك من القرائن ما يسمح لنا بالحكم عليهم والترجيح ضدهم عندما نقيس موقف معتدلي 1924م. [1]

فقد يستطيع المؤرخ الأمين أن يدرك سلامة موقف الانفصاليين أنهم عملوا على الحيلولة دون تعاون مصر وانجلترا معاً على حساب السودان باعتبار أن كليهما يرغب استعماره واستغلاله، فيهدفون إلى إيجاد الفرقة بينهما بالتعاون مع مصر للخلاص من انجلترا ثم الخلاص من مصر على انفراد، وهي التهمة التي ما فتئت الصحافة الإنجليزية ترددها ظاهرا للطعن في الاتحاديين وحقيقة لتخويف الرأي العام المصري كيما ينصرف عن السودان. كما يستطاع إدراك سلامة موقف الانفصاليين أن اتخذوا آراء كل من مصر وانجلترا موقفا سويا. أما أن يسيروا في تعاونهم مع حكومة السودان إلى مدى انضمامهم محاربين في الجبهة الإنجليزية ضد مصر فهذا ما لا يتفق عقلا مع أي حركة استقلالية لها م بين مصر والسودان من صلات. يؤيد ذلك موقف الاتحاديين من رجال الحزب الجمهوري في السودان فمع بعد الشقة بين المبدأين نجد الفريقين . بعد أن امتد ميدان النضال خارج السودان .

---

(1) احمد خير ، المرجع السابق ، ص 21.

يتبادلان عواطف ولود بين مواطنين مختلفين في الرأي عن إخلاص ونزاهة، ولا يتركان فرصة تبدو للتعاون دون آن يهتبلان، بخلاف الاتحاديين والانفصاليين. [1]

منذ هذا الوقت أخذت حكومة الوفد تعد العدة لفتح باب المفاوضات مع الحكومة الإنجليزية بخصوص التحفظات الأربعة وأولها مسالة السودانية وكان أول مظاهر الوزارة الجديدة بالحقوق المصرية في إدارة السودان عندما اشتركت حكومة الخرطوم في معرض عام المستعمرات الإمبراطورية البريطانية أقليم يمبلى عام 1924م دون أن تأخذ رأي الحكومة المصرية، مما دفع البرلمان المصري إلى أن تصدر عن أعضائه صيحات تدعو لتشكيل لجنة من بين أعضائه تختص بالمسالة السودانية.

---

(1) أحمد خير ، المرجع السابق ص 21.

الفصل الثاني

ثورة 1924م.

المبحث الأول: ثورة طلبة المدرسة الحربية.

المبحث الثاني: ثورة 1924م.

المبحث الثالث: حركة 1924م في الميزان.

المبحث الأول
ثورة طلبة المدرسة الحربية

استجابة حكومة السودان لمذكرة معتدلي الانجليز 1924م وانتصر المعتدلون من الإنجليز الداعون لنظام المجالس المحلية إذ كانوا يرمون من ورائه علاوة على القضاء على نشاط جمعية اللواء الأبيض أن يكون وسيلة لتخفيض العنصر المصري في السلك الإداري بحكومة السودان فقد كان الضباط المصريون يسيطرون على الإدارة التنفيذية حتى صبغوها إلى حد كبير بالطابع المصري كما كانت اعتبارات اللغة والدين تمهد لمن أراد منهم . وقليل ما هم . السبيل لتغلغل في يسر وسرعة في المجتمع السوداني. [1]

ثورة طلبة المدرسة الحربية:

كانت أولى إرهاصات الثورة المسلحة هي المبادأة من طلبة المدرسة الحربية. خرجوا في التاسع من أغسطس عام 1924م [2].

ففي صباح السبت فوجئ أهل الخرطوم مفاجأة سارة وعنيفة معا، خفقت قلوبهم بالفرح حتى كادت تخرج من حناجرهم مع الهتافات، وذرفت عيونهم دمع الغبطة، لقد كان الحادث أضخم من أن تصدقه عقول البعض أو تحتمله أعصاب البعض الأخر، فوجئ أهل العاصمة دون سابق إنذار أو إرهاص بقيام طلبة المدرسة الحربية في ثورة تهتف بحياة فؤاد الأول ملك مصر وبالحرية وسقوط الاستعمار.

وفي لمح البصر وبمعونة موظفي البريد والبرق والتليفون، كالعادة انتشرت الأنباء في العاصمة ومنها إلى المدن الكبيرة تعلن ان طلبة المدرسة الحربية قد خرجوا جميعهم في ثورة سلمية تأييداً للحركة الوطنية. ومع صعوبة المواصلات في تلك الأيام فقد خرج أهل

---

(1) احمد خير المحامى، المرجع السابق، ص 25.

(2) احمد محمد يسن، المرجع السابق، ص 25.

العاصمة عن بكرة أبيهم إلى الشوارع و الطرقات والميادين يحيون الطلبة ويكبرون روحهم ويشاركونهم الهتاف والأناشيد.

كان طلبة المدرسة الحربية لقلة عددهم، وحسن منظرهم وكمال هندامهم في المدرسة الحربية أو في خارجها كما كانوا لضمان مستقبلهم في الجيش المصري . كانوا دائما موضع إعجاب الرأي العام وتقديره، كانوا مثال اغتباط الآباء، وغبطة الرفاق إذا ساروا في الطرقات فرادي وجماعات هفت إليهم القلوب والأنظار وأحاطتهم بالرعاية والإكبار، فلما خرجوا في ثورة وطنية يشاركون الرأي العام عواطفه وميوله، كان جمهور أهل العاصمة عند حسن ظنهم فخرجت العاصمة برمتها تستقبلهم. خرج البعض في إعجاب وخرج آخرون عن تأييد، أما الكثرة فخرجت لتشجع هتافا، وتربوي نداء وتنفس عن شعورها المكبوت في حماية سواعد فتية، وجنود مدربين مدججين بالسلاح كانوا سياجا شفي غليل المتظاهرين ووقاهم من عف البوليس. (1)

لقد كانت المظاهرات، ككل شيء يصدر عن طلبة المدرسة الحربية، رشيقة أنيقة، سار موكبها في الشوارع الرئيسية في روعة و مهابة و في دقة و نظام ، و كان يتبعها من الخلف أركان حرب المدرسة ومساعدوه من الضباط كما لحق بهم قومندانها الإنجليزي. وقف الطلبة أمام سراي الحاكم العام ورددوا الهتافات مع التحية العسكرية للملك فؤاد الأول،ثم ساروا إلى السجن العمومي ورددوا التحية للمعتقلين السياسيين ، ثم عادوا إلى مدرستهم ليجدوا مخازنها قد أفرغت مما حوته من أسلحة وذخائر. قضى الطلبة أسبوعاً وبعض الأسبوع معتقلين في مدرستهم ثم نقلوا إلى باخرة نيلية سيق أكثرهم منها إلى السجن.

---

(1) احمد خير، المرجع السابق، ص 26

تبادر إلي فهم الجمهور أن طلبة المدرسة الحربية تظاهروا بوحي ممن بقي خارج السجن من رجال جمعية اللواء الأبيض، وكان لمن ذهبوا هذا المذهب، في الهتافات ما يؤيد استنتاجهم تأييداً يغنيهم عن زيارة البحث والاستقصاء. وحقيقة الأمر أن الطلبة خرجوا في مظاهراتهم لتدعيم الشعور القومي والسياسة التي كانت تدعو لها جمعية اللواء الأبيض، غير أن السبب المباشر يرجع إلى ظروف خاصة. (1)

فقد صدرت الأوامر العسكرية، قبل الثورة بيومين، تعلن عن ترقية عشرة من طلبة المدرسة الحربية بالقاهرة إلى رتبة الملازم الثاني وترقية ثلاث من طلبة مدرسة الخرطوم.

ولما بحث الخرطومين عن سر هذا التميز ثبتوا ، من مصدر ما زال مجهولاً، أن لعسكريين الإنجليز هم المسؤلون عنه ليقدموا للسودانيين دليلاً مادياً وشخصياً عن مقدار تقدير المصريين لهم. فقرر زعماء الطلبة، في جلسة قصيرة إن يتظاهروا في شكل طابور يهتف بحياة ملك مصر، ليكون في ذلك من جانبهم رداً سريعاً حاسماً على أن مثل هذه المسائل الفرعية الصغيرة لن تؤثر على القضية الكبرى أو تمسها.الحق طلبة المدرسة الحربية ببقية سجناء الثورة في كوبر وبدأت الضبطية الفضائية في التحريات والتحقيق بهذا في السودان، أما في مصر فقد انقطعت المفاوضات، وركدت الحركة الوطنية، واخذ المد الثوري في الانكماش قليلا. وبدا الرأي العام في السودان على وجه الإجمال يتململ وتساوره الشكوك والريب في سلامة الاتجاه، خصوصا وان هذا النوع من أساليب النضال السلبي . المظاهرات والهتافات والاحتجاجات . كان جديدا وغريبا على جمهرة أهل الرأي في البلاد، إذ لم يعهدوا عن آبائهم وسلفهم إلا أسلوب واحد هو أسلوب الحرب والقتال، فأما إلى القبر وأما الصدر. من جهة أخرى اخذ المعتدلون ينفثون دعايتهم وسمومهم، ويتحدثون عن عزم الحكومة على تأسيس المجالس البلدية، والمجلس الاستشاري، وهي كما كانوا يقولون، أساس النظام النيابي.

---

(1) احمد خير المحامى، المرجع السابق، ص 25

ووجه قلم المخابرات الاتهام لثلاثة من الضباط المصريين الذين عملوا بالتدريس في المدرسة الحربية، على أن لهم ضلعا في إثارة الثورة. وفي نفس اليوم قامت ثورة من فرقة العمل المصرية بعطبرة، واستقبلت صالح عبد القادر الذي اعتقل في بور سودان، وكان في طريقه إلى الخرطوم. وفي اليوم التالي قامت الفرقة نفسها بثورة مسلحة انضم إليها بعض المدنيين. وتسبب في إتلاف بمباني السكك الحديدية وورش الصيانة.وعلى اثر ذلك استدعيت قوات بريطانية وسودانية وتمت محاصرة المتمردين لما ارتدوا إلى ثكناتهم. ولقي بعض الرجال حتفهم خلال الاشتباكات التي حدثت.[1]

وتوصلت لجنة شكلت لتقصي الحقائق إلى أن الأسباب الدافعة للتمرد لم تكن سياسية فحسب. بل كانت هناك أسباب أخرى من بينها انتشار روح الفوضى بين رجال الفرقة حينما تفشت الأخبار بحل الفرقة كلها، فضلا عن الانخفاض البالغ في الروح المعنوية لدى الجنود، وتحريض المدنين على التمرد. وأصدرت محكمة إيجازية أحكاماً بالسجن على ثلاثة عشر شخصا لاتهامهم بالقيام بدور قيادي في التمرد. وأصدر الحاكم العام أمرا بحل فرقة العاملين، وما أن حل شهر سبتمبر من عام 1924م حتى ابعد رجال الفرقة من السودان إلى مصر، وفي أغسطس حدثت اضطرابات من رجال الفرقة في بورتسودان. ومن ثم أرسلت قوات بريطانية وسفينتان هما ويمث وكليماتي بسرعة إلى هناك واعتقل قادة المظاهرات. ومع كل ذلك استمر اندلاع المظاهرات وانفجارها في كل من شندي وأم درمان والأبيض ودنقلا خلال شهر أغسطس وسبتمبر وأكتوبر واعتقل عدد كبير من المتظاهرين وعندئذ أدركت الإدارة البريطانية أنها لم نكن تواجه إضرابا نظمه دعاة ومثيرون للشغب من رجال السياسة المدنيين, بل كانت مواجهة بثورة مسلحة اشترك فيها الضباط وطلاب المدرسة الحربية والجنود. وابتداء

(1) احمد خير المحامى، المرجع السابق، ص 25

من أغسطس وبينما كانت جمعية اللواء الأبيض دائبة على تنظيم وسائل الاحتجاج والمظاهرات.

وجيء برئيس آخر هو احمد زيور باشا التركي الذي نفذ تماما مثل سابقة نوبار باشا إخلاء السودان من الجيش المصري وان كان الأول في سنة 1884م بينما الثاني في سنة 1924م. [1]

(1) عبد الوهاب محمد الزنتانى، المرجع السابق، ص 111.

المبحث الثاني
ثورة 1924م

في نوفمبر من عام 1924م نزل "سيرلى أستاك" حاكم عام السودان في القاهرة وهو في طريقه للخرطوم من لندن. وفي أثناء أقامته في القاهرة تعرض للاقتيال في احد شوارع القاهرة. وعلى اثر مقتل "أستاك" تقدمت بريطانية بمطالب إلى مصر ، وتحقيقا لرغبتها في تنفيذ سياستها في السودان. فمن تلك المطالب أن تدفع الحكومة المصرية مبلغا قدرة نصف مليون جنيه لأسرة "سير لي استاك" ، وإخراج الجيش المصري من السودان في ظرف أربع وعشرين ساعة، ثم إجلاء المصريين المدنيين الموظفين في السودان. وكان هذا المطلب الثالث يشمل أولئك الأساتذة المصريين الذين يدرسون في كلية غردون التذكارية منذ إنشائها.[1] فكانوا هدفا لسهام الاستعمار منذ أن أحسوا بان الوعي اخذ يدب في قلوب الطلاب داخل أسوار الكلية وربما تسلل أحياناً من تلك الأسوار إلى خارجها، ولم يكن غائبا عن الإنجليز حين افتتحوا الكلية ذلك الخطر الذي يمكن أن ينشأ عن وجود مثل أولئك الأساتذة في بلد كالسودان، ولكن لم يكن ممكنا أن تقوم الدراسة في بلد عربي بأساتذة إنجليز في ذلك الوقت. وحين طرد الإنجليز هؤلاء الأساتذة اضطروا أن يخلفوهم بآخرين من البلاد العربية ولكن ليس من مصر ومنذ ذلك الحين اخذ الإنجليز يحاربون التعليم في السودان سواء كان متمثلا في الأساتذة المصريين الذين يدرسون في كلية غردون أم البعثات إلى خارج السودان ورفضت الحكومة المصرية التي كان يرأسها سعد زغلول تلك الطلبات التي تقدمت بها بريطانيا. وقدم سعد استقالته احتجاجا عليها.[2]

---

(1) إبراهيم الحاردلو، الرباط الثقافي بين مصر والسودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطابعة الأولي، 1977م،ص 41

(2) عبده بدوى ، الشعر الحديث في السودان، القاهرة 1962م، ص 392

وفي الخرطوم رفض قائد الطوبجية المصرية أن يترك السودان ألا يأتيه أمر مباشر من ملك مصر، لان الجيش المصري في السودان يمثل مصر. وليس انجلترا. وأبى أن يقبل أي أمر من غير مصر. ولم يتوان الملك تحت ضغط الإنجليز حين علم بموقف قائد الجيش المصري في الخرطوم فأرسل مبعوثا خاصا يأمره بإجلاء الجيش المصري عن السودان. وبينما يستعد القائد المصري وجنوده للعودة إلى مصر وصل إلى سمع الضباط السودانيين خبر رفض القائد المصري الانصياع إلى أوامر الإنجليز وتحديه لهم، فأشعل هذا الموقف نار الحماسة في صدورهم, فهبوا لمساندة إخوانهم المصريين من الضباط والجنود. فاخذوا أسلحتهم في أيديهم وساروا مسيرتهم المشهورة لينضموا إلى صفوف الضباط المصريين الذين ظنوا أنهم قد أحيط بهم. وتصدى لهم الجيش البريطاني الذي كان يحتل كلية غردون وحال دونهم والضباط المصريين. ووقعت على شاطئ النيل الأزرق معركة غير متكافئة استمرت يوما وليلا وثانيا وأبلى فيها السودانيون أحسن بلاء فاستشهد عبد الفضيل الماظ حين (سقط في المعركة وهو ممسك بمدفعه الرشاش، وكبدوا البريطانيين خسارة كبيرة ولو لا أن ذخيرتهم نفذت لصمدوا وقتا طولا مضحين بأرواحهم. وقيض على الثوار واعدموا. وهم المغفور لهم سليمان محمد وحسن فضل المولى وثابت عبد الرحيم، وحل وثاق الضابط على البنا في اللحظة الأخيرة قبل إطلاق الرصاص عليه)[1]

وهكذا اتخذت بريطانيا مقتل أستاك ذريعة لتصفية كل مصري في السودان وقطع العلاقة بين مصر والسودان. فبعد أن تم إجلاء الجيش المصري عن السودان اتبعته السلطات البريطانية في السودان بحملة تصفية، طرد بموجبها الأساتذة المصريون من كلية غردون تنفيذا للمطلب الثالث الذي تقدمت به بريطانيا إلى مصر، كما طرد كثير من الموظفين

(1) مكي شبيكة، المرجع السابق، ص 437

المصريين الذين يعملون في دواوين الحكومة في السودان.ثم منعت الصحف و المجلات والكتب التي تصدر في مصر دخول السودان. (1)

وفي الجانب الشعبي اختفى من ميدان النضال قادة الحركة ونفخو نارها، فهاجر البعض إلى مصر ليجدوا ان النفوذ الإنجليزي يسيطر على سياستها و يتغلغل في شؤونها كما هو الحال في السودان، وان من غضب عليه الإنجليز سدت في وجهه سبل الكسب والعمل، وكان لهذا الاكتشاف اثر قاسي في نفوسهم ، وعقدة نفسية لبس ثوب الكراهية و الاحتقار لكل ما هو مصري حتى يومنا هذا. وفريق آخر أودع السجن ونفي إلي مستنقعات بحر الغزال ليلقى حتفه أو ينقل إلى مستشفى المجاذيب. وخرج من قدرت له النجاة و السلامة إلي مجتمع مزيج من عنصرين . احدهما جاهل لتاريخ الحركة وظروفها ، والأخر متنكر لها. أما من بقى في السودان بمنجاة من قبضة البوليس ويد القانون فقد طلق جمهرتهم، طلاقا بائنا لا رجعة فيه، فكرة الكفاح المشترك بين المصريين والسودانيين لرفع نير الاستعمار البريطاني وقنع بان يكرس ما بقي له من جهد في سبيل الحصول على مقعد مريح في موكب الحياة طبقا للمراسيم والطقوس التي تقررها حكومة السودان. فما كانت بريطانيا تحلم أن يتحقق جلاء الجيش المصري عن السودان بهذه السرعة وقبل أن يحصل السودان على استقلاله لولا تلك الصدفة النادرة.وكانت الأزمة بين مصر وبريطانيا قد بلغت مداها حول قضية السودان ووضعه قبل أستاك بقليل. وقد أشار المارشال ويفل إلى هذا الموقف. [أما من وجهة النظر البريطانية فقد حل ذلك القتل العلاقات الإنجليزية المصرية عندما تهددت بخلق أزمة حقيقية حتى ليمكن القول بان جثة السردار كانت تهيئة من الأقدار لحل موقف لم يكن يطاق] (2)

---

(1) إبراهيم الحاردلو، المرجع السابق ص 43.

(2) احمد خير المحامى، المرجع السابق ، ص 29.

وفى السودان عملت الحكومة البريطانية على محاربة التعليم لأنها أيقنت إن من أسباب ثورة 1924م انتشار الوغى وزيادة عدد المتعلمين في المدن والقرى. ولكن الإدارة كانت بحاجة إلى سودانيين يختلفون من طردت من الموظفين المصريين في شتى موافق الحياة. لذا كانت السياسة التعليمية التي وضعها الإنجليز تقوم على إعداد مثل هؤلاء الموظفين وليس الهدف منها العلم أو المعرفة بمعنى رفع الجهل عن الناس وارتفاع مستواهم العقلي، بل كان الطالب يتعلم مبادئ تعده لوظيفة يؤديها في دواوين الحكومة. فكانت المدارس، خاصة كلية غردون يتخرج فيها الكتبة والمحاسبون والمدرسون والقضاة ثم يوزعون على المصالح حسب الحاجة أليهم. واستمرت تلك السياسة توجه التعليم في السودان إلى وقت قريب. وكل من تفوق على تلك الظروف وثقف نفسه كان يفعل ذلك بكفاحه واعتماده على الإطلاع الخارجي. وكان هؤلاء هم طلائع الحركة الوطنية في السودان.(1)

(1) احمد خير المحامى، المرجع السابق ، ص 29.

المبحث الثالث

ثورة 1924م في الميزان

وقد اختلف الناس غداة الثورة. وإذا بهم يختلفون حتى اليوم، في رأيهم عنها والحكم لها عليها. [1]وعلى ذلك كان من الميسور دحر تلك المقاومة الضعيفة. وكان الاتصال بين الضباط بالخرطوم وزملائهم بالقاهرة ضعيفا. وكانت تصرفات الضباط الموجودين بالخرطوم خاضعة لما اطلعوا عليه في صحف مصر أكثر من المعلومات الرسمية. ومالت الصحافة إلى الإشارة والتهويل أكثر من الميل إلى توخى الدقة و الموضوعية. وان عملا قام على مثل هذا الضرب من المعلومات كان لابد من دحره وإلحاق الهزيمة به في يسر وسهولة. بيد أن السودانيين كانوا يعانون أيضاً من كثير من نقاط الضعف. وأولاها عدم وضوح أهداف الثورة في أذهان الضباط والجنود. وكان اغلبهم أعضاء في جمعية اللواء الأبيض أو متعاطفين معها، وأكثرهم من أنصار مصر ويؤمنون بوحدة وادي النيل كخطوة أولى نحو الاستقلال.[2]

أما كبار الضباط مثل عبد الله خليل وحامد صالح المك فقد كانوا على صلة بجمعية الاتحاد السوداني. ورغم أنهم لم يناصبوا مصر العداء إلا أنهم لم يعتنقوا فكرة وحدة وادي النيل، ولم ينظر إلى الإطاحة بالحكومة والاستيلاء على السلطة من الجمعيتين كهدف سياسي مباشر، مما أدى إلى عزل المصريين الذين اخذوا مصالح مصر في الاعتبار الأول.

وبدأت نقطة الضعف الثانية في ضعف الاتصال والتنسيق بين الضباط السودانيين في الخرطوم ورفاقهم في المناطق الخارجية. وذلك فضلا عن أن معظم ضباط الجيش في جمعية اللواء الأبيض لم يكونوا حذرين بما يكفي مما أدى إلى تقلقل كثير من رجال المخابرات الي صفوفهم. ومن ثم إطلاع الإدارة البريطانية على خطط نشاط جمعية اللواء الأبيض فقد

---

(1) إبراهيم الحاردلو، المرجع السابق، ص 44

(2)احمد خير المحامى، المرجع السابق، ص 30

خصص احد رجال المخابرات لنقل أخبار ونشاط محمد صالح جبريل في الأبيض ، وقد تمكن من زعزعة نشاط الجمعية في غرب السودان[1].

ونقطة الضعف الثالثة مردها ظهور المصالح الاجتماعية الضيقة الإقليمية والقبلية بين الفينة والأخرى.وبناء على تقرير لقلم المخابرات صدر في عام 1924م فقد تكونت في مواجهة جمعية اللواء الأبيض جمعية اللواء الأسود التي تكونت من الضباط السود في الجيش الذين بسب سواد بشرتهم لم يثقوا في رفاقهم العرب واعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين للسلطة. وورد ذكر عمر الخليفة عبد الله وزين العابدين صالح وحسن ومحمد زين وسرور رستم باعتبارهم ذوي صلة بهذه الجمعية. [2]

وقد أضعفت الاختلافات فيما بين العرب والسود من تنظيمات الحركة الثورية داخل الجيش وفي أوساط المدنيين.وكانت نقطة الضعف الرابعة كامنة في عدم نضوج الظروف للثورة، وذلك على الرغم من إن الاستعدادات لمواجهة الحكومة قد بدأت منذ عام 1922م وإنخرط الجيش بكل نجاح في التنظيمات الثورة، ولكن الوقت لم يكن في مصلحة الثوار (ذلك إن التوقيت املاة مقتل السير لي ستاك) والأمر الصادر بأجلاء الجيش المصري ولذلك ما أن وجد الضباط والجنود السودانيون وعدا بالتأييد من جانب القوت المصرية حتى شرعوا في القيام بالثورة قبل أن يكونوا مستعدين لها استعدادا كاملا.

---

(1) احمد ابراهيم دياب ، مؤتمر الخريجين ،

Intelligence Report from EL Obeid – Kordofan 1/12(2)

ونظرا إلى ابتعاد الضباط الكبار مثل عبد الله خليل عن قيادة الثورة كانت القيادة بأيدي صغار الضباط قليلي الخبرة والذين لم يصقلهم الزمن. ومن ثم ارتكبت بعض التصرفات الطائشة والساذجة. (1)

ومنذ البداية وقعت جمعية اللواء الأبيض فريسة لنشاط عملاء المخابرات. فلقد بث محمد على صالح الذي أصبح شاهد ملك خلال المحاكمات, في أوساط الجمعية بواسطة رئاسة قلم المخابرات. وكان محمد جبر الدار الضابط بالجيش والذي عمل بالتعاون الوثيق مع محمد صالح جبريل في الأبيض. تحمل مسؤولية تنظيم الجمعية وإثارة المظاهرات والاتصال بقبائل الغرب' هو الأخر من عملاء المخابرات ومهما يكن من أمر.فان السبب الرئيسي لفشل الثورة هو انعدام التأييد الجماهيري لها، والحق أن التأييد الذي حظيت به كان مستمدا من المدن ومن مجموعات صغيرة من الموظفين المثقفين والمستنيرين.

ولم يكتف كبار رجال الدين وزعماء الطوائف باظهارالعداء، بل ذهبوا إلى حد العمل على إجهاضها، بل نجحوا قي تحييد إتباعهم. وأكثر من ذلك جعلوهم يعادون الجمعية معاداة سافرة. ولما تم إلقاء القبض على العدد القليل من القادة السياسيين والمنظمين وحكم عليهم بالسجن،لم يعد هنالك أية فرصة للاتصال بالجماهير. ومن ثم شل نشاط الجمعية مما مكن الإدارة البريطانية من سحق الثورة دون كبير عناء. وهكذا انتهت ثورة السودان القومية الأولى بعد إلحاق الهزيمة بالثورة المهدية. كانت حكومة السودان غارقة في تنظيم عملية إجلاء تم الاتفاق عليها في المفاوضات بين الإدارة البريطانية والحكومة البريطانية تتلخص في إتباع ما يلي:

---

(1) احمد ابراهيم دياب ، مرجع سابق ، ص (18)

1. إجلاء الضباط والقوات المصرية. [1]
2. في حالة رفض الحكومة المصرية أو معارضتها لهذه الخطوة، يجب إتمام الاجلاء بالقوة بعد تجريد تلك القوات من أسلحتها على أن هذا التجريد لن يكون له ضرورة في حالة موافقة الحكومة المصرية على الجلاء.
3. يجب أن تتم عملية الجلاء فورا، وان يتم إبعاد الضباط المصريين العاملين مع القوات السودانية في نفس الوقت.
4. تكوين قوة دفاع السودان تحت قيادة الحاكم العام, الذي يتعين عليه الاستقالة من منصب السردار في الجيش المصري، وعلى أن تقدم القوة الجديدة قسم الولاء لملك انجلترا.

وفضلا عن كل ذلك أوصت حكومة السودان بما يلي:

1. يجب أن تخطر الحكومة المصرية بقرار سحب كل المصريين والقوات المصرية من السودان.
2. يجب أن يطلب من الحكومة المصرية أن تصدر أمرا بالجلاء، وان تقدم لها كل مساعدة، وان يعبر لها عن الامتنان والاحترام وان هي وافقت على ذلك.
3. وفي حالة الرفض، يجب اتخاذ جميع الخطوات العسكرية التي من بينها إبعاد حراس المخازن للأسلحة عن مراكزهم وإحلال حراس قوات بريطانية وتجريدهم من السلاح.
4. تمنح الحكومة المصرية مهلة ثمان وأربعين ساعة لاختيار بين الأمرين.

---

(1) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان 1900م . 1968م، دار الحيل، بيروت،لبنان، ص 109–111.

الفصل الثالث:
الحركة الوطنية فيما بعد ثورة 1924م.

المبحث الأول: المدارس الفكرية.

المبحث الثاني: النهضة الأدبية.

المبحث الثالث: ردود الفعل المصري والبريطاني.

المبحث الأول
المدارس الفكرية

انطفأت جذوة الروح الوطنية المناضلة بالطرق والوسائل المباشر فقد أضحى القادة أما رهن السجن أو الاغتراب بمصر، إذ نقل كل من على عبد اللطيف ، عبيد حاج الأمين ، علي البنا ، محمد المهدي الخليفة ، محمد بخيت من سجن الخرطوم بحري إلي سجن واو بالجنوب. وأطلق سراح حسن شريف وعلي أبا يزيد وأبعدا إلى مصر، كما أطلق سراح صالح عبد القادر ومحمد زكي عبد السيد وحسين مختار وعلى ملاسي والتهامي محمد، ولكنهم ظلوا بالخرطوم تحت رقابة البوليس. ولجأ عرفات محمد عبد الله، وفرغلي الذي رفض أداء قسم الولاء للحاكم العام إلى القاهرة. حيث استمرا في كتابة مقالات معادية لبريطانيا في الصحف المصرية. وتم استيعاب بعض الضباط الذين رفضوا قسم الولاء للحاكم العام في صفوف الجيش المصري او البوليس او السجون. ولكن لم يجد اولئك ترحيبا في الدوائر الرسمية بمصر.وترتب على قبض بعض اللاجئين لمصر من غير المرغوب فيهم، كما ترتب على محاولة اتهام البعض الآخر في حادث مقتل "السير لي ستاك"، وان القادة السياسيين السودانيين استشعروا المرارة والكراهية. ومن ثم عبر صالح عبد القادر فيما بعد عن خلجات نفسه ومشاعر بعض زملائه في شعر رصين مشهور [1].

ووقف المثقفون حيارى أمام إحجام الجماهير العريضة عن المشاركة في الثورة، فاقتصرت المشاركة على بعض سكان المدن ولم تمتد إلى ريف البلاد وسهوله. ولان الطبقة الوسطى ومثقفوها لم يعطوا تقييم تجاربهم كبير اهتمام ويواجهوها بروح نقد صارمة ، فقد انحوا باللأئمة على خمول الجماهير. فلم يتضح لهم أن الظروف الموضوعية لم تكن مهيأة لثورة كالتي كانوا يحلمون بها. الثورة لا تتحقق بالأحلام وإنما بالتخطيط، والشعارات التي طرحوها

---

(1) محمد محمد بشير، المرجع ، السابق، ص 119.

لم تلهم كل الناس ليخرجوا بصدر مفتوحة لتلقى الموت. ثم تبين للمثقفين أثناء تلفتهم الحائر، أن سكان الريف محبوسون خلف جدران النفوذ الطائفي والقبلي، الذي يحركهم بأطراف أصابعه وهم في حالة ضعف من وعيهم، لذلك لم تحرك الثورة الحياة في بواديهم. (1)

وبدأ سؤال يلح على ذهن المتعلمين: كيف الوصول إلى تلك الجماهير ونبعت الإجابة علية من خيبة الأمل التي مني بها المثقفون بعد هزيمة ثورة 1924م ومن رسوخ نفوذ القيادات الطائفية والقبلية، ومن ضغط السياسة الاستعمارية ، ومن لهفة البرجوازية الصغيرة وتعجلها للنتائج وهى التي تصوغ إيديولوجية المجتمع ومن كل هذه العوامل تشكلت الإجابة على السؤال ، التي تمثل في تطلع المتعلمين إلى التعاون مع الطائفية باعتبار ذلك اقصر طريق التي يمكنهم التوسل بها للجماهير. ولكنهم بذلك النهج تكبدوا طريق الجادة، وارتادوا مضمار لا يمكنهم المضي فيه إلا في ذيل الطائفية. وأعلنوا بذلك تراجعهم عن قيادتهم الرائدة للحركة الوطنية، وارتموا في أحضان الطائفية. وكانت الطائفية قد بدأت تحت خطاها لتتلقاهم بالبشر في منتصف الطريق وهكذا حدثت التسوية التاريخية التي أدخلت الطائفية إلى رحاب السياسة من مواقع متقدمة، مما ساعدها علي تطهير أرديتها من دنس التعاون الاستعماري. فتحولت الحركة السياسية العلمانية الي الطائفية السياسية، وتحولت الطائفية الي السياسة العلمانية. (2)

أتضح أن شعار الثورة [لتحيا مصر] لغز يتعذر مدلوله. فيفسره البعض تفسيرا دينيا ، لان مصر ورثت في نظرهم زعامة الإسلام بعد تركيا، ويرجعه البعض الأخر إلى ما قبل المهدية، ويكفي لقبوله عند فريق ثالث انه الشعار (المغيظ) لرجال الحكم القائم في السودان وأتضح ثانياً، أن أي حركة وطنية، يراد بها النجاح، يجب أن تستتد إلى تأييد شعبي ساحق ويتطلب هذا وعيا سياسيا قويا عند الجماهير، كما يتطلب عند القادة، إلماماً بالتطورات

---

(1) احمد خير المحامى، المرجع السابق، ص 25.

(2) محمد سعيد القدال، المرجع السابق ، ص 454.

السياسية في العالم وبتاريخ الحركات الشعبية الأخرى. فلابد إذن من استزادة المحصول العلمي بالجهد الشخصي، وفهم أحوال المجتمع السوداني فهما علميا، كما لابد أيضاً من تنوير أفراد الشعب وتنبيههم إلى حقوقهم على الدولة وواجباتهم لها، وأخيراً لابد من قيام الارتباط بينهم وبين الجيل الجديد.

المدارس الفكرية:

ولما كانت جمهرة المتعلمين في السودان مجندة عن بكرة أبيها في سلك موظفي الحكومة، لذلك تحتم عليهم، لتحقيق هذا البرنامج أن يعملوا في جهتين في وقت واحد عليهم أن يكونوا داخل الديوان عمالا نشطين يقدرون واجبهم حق قدرة ويؤدونه على الوجه الأكمل في ذكاء وخبرة حتى يتجنبوا اضطهاد رؤسائهم المتحرشين بهم. وفي الوقت نفسه يراقبوا بنظرة فاحصة أعمال الحكومة وخططها، فيتبينوا أهدافها ومراميها. وكان عليهم، خارج الديوان، ان يقوموا بدور طلبة العلم وتلاميذه ويقبلوا على المطالعة والمدارسة لتثقيف أنفسهم وتنمية ملكاتهم المهملة. والمعلم السوداني أن أسعده الحظ يعرف الإنجليزية زيادة على لغته العربية، لذلك انحصر نشاطهم في نتاج المطبعة العربية بمصر، والمطبعة الإنجليزية بلندن، نشات من جراء ذلك، في غير ضجة أو ضوضاء، جمعيات صغيرة قومها زملاء الحي والحارة، ورفاق الفصل والمدرسة، وأبناء الديوان والمهنة الواحدة. نشأ بعضها للتمثيل وبعضها للمطالعة المشتركة والمراجعة، وأخرى للخطابة وقرض الشعر والمناظرات. [1]

وجد الشباب في هذه الهيئات والجماعات مادة لإشباع رغباته ، وعاملا لإرضاء نزعاته ، وعالماً فسيحاً يعيش فيه . عن طريق الخيال طوراً وعن طريق الحقيقة أطواراً . لأماله وأمانيه ، وكانت هذه الجماعات تلتقي في المنازل، فازدهرت بمنأى عن الرقباء، ثم تطورت حتى صارت مدارس فكرية قامت بين أعضائها زمالة، وتوثقت بينهم من جهة وبين أساتذتهم

---

(1) احمد خير ، المرجع السابق، ص 35.

من جهة أخرى، صلات وروابط لعلها أقوى من صلات الرحم والدم فاصبحوا يعيشون مع الأحياء في أجوائهم ويرجعون من اجل القدامى قرونا طويلة إلى الوراء. وكم كان يلذ لهم أن تتعصب كل مدرسة لأستاذها وتعقد له دون غيرة لواء الزعامة والقيادة الفكرية في عصره. وتختلف مع المدرسة الأخرى، ويعنفون في تعصيبهم واختلافاتهم حول عمالقة الفكر وأساطين الأدب وفي الشرق والغرب. وكان من المظاهر المألوفة أن ترى أكداساً من المؤلفات الإنجليزية والعربية. وأكواما من الصحف، تشغل في عناية لا تشمل غيرها من الأثاث والمحتويات الأخرى، اكبر حيز في غرفة الشباب السوداني وتستنفذ اكبر جزء من دخله، ومن الطبيعي أن يلتهموا في البداية كل ما تقع عليه أعينهم وتصل إليه ايديهم دون تميز أو تفضيل. [1]

لكن التجربة والمران، على يدي المرشد الأكبر . الزمن . أهلتهم للاختيار. وان لزم أن نعترف بالفضل لذويه فإنما نسجله لجنود مجهولين من محترفي النقد الأدبي في انجلترا ومن هواته في مصر. فبإرشاد هؤلاء وبميل الفطرة السليمة، تتلمذ المثقفون السودانيون لرجال حرية الفكر والمدافعين عن حقوق الإنسان وكرامته. ولما كانت المناهج المدرسية لذلك العهد خلوا من مبادئ العلوم التجريبية تعذر عليهم تناول المؤلفات المتعمقة في العلوم، ومع ذلك استطاعوا أن يرافقوا دارون ويستمعوا لفرويد، بمساعدة ما ينشر عنهم من اللمحات القصيرة في الصحافة المصرية. أما في البيئة المصرية فقد كانت الكثرة تتعصب سياستها للوفد المصري ، إلا أن تلك العصبية السياسية لم تمنعهم من أن يدركوا القيمة الفنية الصحيحة للشعراء والكتاب من مختلف الأحزاب، لذلك كانت جريدة السياسة اليومية وعددها الأسبوعي، تحتلان مكانا محترما بالنظر لمستواهما الرفيع، لم تفقداه إلا بعد أن تخلت عنها الكتيبة الممتازة التي حشدت لاخراجهما أول الأمر. وامتد مورد الثقافة والإطلاع فشمل الرحلات سواء

---

(1) احمد خير ، المرجع السابق ، ص 37.

في داخل السودان، أو في خارجه، إلى مصر والبلاد العربية. والحق أن الرحلات إلى مصر عملت على أن ينظر السودانيون في شؤونهم نظرة صحيحة بطريق المقارنة والقياس. [1]

وكانت الصحافة المحلية في العقد الثالث من القرن العشرين مقصورة على حضارة السودان فزحفت الشبان إليها ومدوا يد المعونة لمحررها الشيخ المرهف ، فأحسن استقبالهم لأنهم التزموا التعميم ، وقصروا نتاجهم على القصيد الذي يتغنى بمجد الإسلام والعروبة، والمقالة التي تتحدث عن مبادئ الثورة الفرنسية ، وغيرها من مبسطات الثقافة السياسية. ثم جعلوا يقتنصون المناسبات، ويصطنعونها اصطناعا، للظهور في الميدان الشعبي، وأمام الجمهور، فهذا عيد الهجرة، وذلك مولد النبي، ومن حفل وداع إلى حفل تكريم، يتنفسون فيها عن مشاعرهم المكبوتة، ويرمزون إلى آمالهم ويؤمنون إلى آلامهم، وحتى هذا التحايل والإحباط لم يكن يمر دون ملاحظة أو إنذار من رجال الإدارة.غير ان العمل الصحفي في تلك الحدود الضيقة وقي ذلك الميدان المحصور لم يرض طموح كتاب الجيل ولم يتسع لنشاطهم الدافق.

المدرسة الأهلية ـ أم درمان:

ثم دقت الطبول وخرجت (حضارة السودان) تتهادى بنبا خطير هو دعوة الجماهير للاكتتاب لتأسيس مدرسة ابتدائية أهلية في أم درمان. أنها تباشر العهد الجديد واليقظة القومية، وأسلوب كفاحي متسق مع عقلية العصر. انه الجيل بدا يعمل في وضح النهار. كانت المدرسة مخصصة لمدينة أم درمان ومع ذلك فقد ساهمت جميع المديريات والمدن

---

(1)احمد خير ، المرجع لسابق ، ص 38.

الأخرى في إنشائها، لان الرأي العام كان تواقا لإقامة مؤسسات أهلية ترضى رغبته وتغذي نشاطه.[1]

ملجأ القريش:

وبعد فترة وجيزة تقدم طابور ثان وابتنى قلعة جديدة فأسس **(ملجأ القريش)** لإيواء الأيتام وتعليمهم وتدريبهم. وكانت وسيلة جمع المال، ببيع طوابع القرش في الأسواق والمسابلة، جديدة في ذاتها، فيها خيال شاعرية اتاحت للشبان القيام بمظاهرات حبيبة إلى أنفسهم، فانطلقوا في الطرقات، يتصلون بالجمهور ويتجهون للعظيم الثري, كما يتجهون للفقير المعدم ، صدر الاقتراح في الصحف من الأستاذ عبد الفتاح المغربي المرأة العجوز على السواء. ولا يطلبون من هذا أو تلك إلا قرشاً واحداً، يقدمه الجمهور وفي عينيه دهشة وعلى جبينه علامات الاستفهام ما لهؤلاء الشباب يستجدون قرشا واحدا ؟ ، وسرعان ما تلقى هؤلاء المستفهمون الجواب عمليا، فراوا منارة الملجأ ترتفع سامقة، وشاهدوا منتجاته تغزو الأسواق. كل ذلك بفضل نشاط الجيل الجديد في ميدان ليس للحكومة فيه سبيل للتدخل، والملجأ اصبح مؤسسة تساهم في النهضة التعليمية وستساهم غدا، أن وجدت العناية، في نهضة صناعية ، ولقد حرص القائمون على هذه المؤسسات أن يجعلوها بمنأى عن نفوذ الطائفية. وقد أفاد هذا الاتجاه وكفل للمؤسسات نموا مضطردا سليما وان كان بطيئا.

التعليم في معاهد القاهرة :

واخذ فريق من المغامرين يهاجر سراً للالتحاق بالمعاهد المصرية ، ويهاجر تحت ظروف قاسية ساقت بعضهم إلى سجن في القاهرة، وانتهت بآخرين إلى خصومة مع الأهل،

---

(1) احمد خير المحلمى، المرجع السابق ص 38

ومقاطعة الأسرة في السودان لكنهم صمدوا أمام كل هذه الصعاب وتتابعت أفواجهم سنة اثر أخرى. وقد كان المهاجرون يعتمدون في مصر على عطف الأمير عمر طوسون وقلة من السودانيين، وفي السودان على نفر محدود من زملائهم وجميعهم من صغار الموظفين. وأخيراً وبعد جهود مضنية أدركت الحكومة المصرية النتائج السياسية الخطيرة المترتبة على تعليم السودانيين في مصر، فأقرت المبدأ وصار تشجعهم من الأمور الأساسية التي تترسمها وزارة المعارف. فإلى هؤلاء وأولئك ومن ساهم معهم في العلن والخفاء ويرجع الفضل في قيام (بيت السودان) اليوم. (1)

(1) احمد خير المحامى ، المرجع السابق ، ص 39.

المبحث الثاني
النهضة الأدبية

بدأت حركة المثقفين السودانيين في الإهتمام بوعي لقضية النهضة في السودان، بعد ثورة جمعية اللواء الأبيض عام 1924م، حيث إن الثورة رغم فشلها في تحقيق مقاصدها، إلا إنها استطاعت أن تطرح أسئلة علي المثقفين السودانيين، أهما أسئلة الهوية و الأنتماء، كتب أحمد خير عن ثورة 1924م في كتابه " كفاح جيل" ص 31 يقول (فزعماء ثورة 1924م قد قدموا الدليل علي حيوية السودانيين، و سخطهم علي الاستعمار، و رغبتهم في الحياة الحرة الكريمة، و من أجل ذلك ستبقي ذكراهم موضع الإجلال و التكريم، و ستعرف الأجيال القادمة كيف تخلد تاريخهم و تجعل من أيامهم أعيادا) و رغم إن انقسام النخبة في تلك الفترة التاريخية في رؤيتهم عن الثورة، إلا إن هذا الانقسام نفسه هو الذي كان مجال للتساؤل و طرح أسئلة الهوية. يقول الدكتور عبد اللطيف البوني في دراسة منشورة له في مجلة الخرطوم العدد 16 مايو يونيو 1995 بعنوان " التيارات الفكرية في حركة المثقين السودانيين الأوائل" يقول (لما كانت لتلك الحركة من أثار عميقة علي المثقفين و تطلعاتهم و ما أحدثته من تحول في الفكر الاستعماري تجاه السودانيين أصبحت الحركة الفكرية أكثر تبلورا و تنوعا). إن حركة 1924م أوقفت تفاؤل البريطانيين في اعتقادهم أن السودانيين مدينون لهم " الانجليز" لأنهم أنقذوهم من طغيان المهدية فآصيبوا بخيبة أمل في المتعلمين، ووصفوهم بالجحود، و أنهم صنيعة مصرية فأتجهوا للتعاون مع الزعماء التقليديين.[1]

أما الشباب يقول عنهم محمد احمد المحجوب أكتشفوا أنهم في حاجة لمزيد من الثقافة فأقبلوا علي الآداب العالمية و علي الفكر الغربي في الاقتصاد و السياسة و نظم الحكم، و سعوا للمعرفة الموسوعية و قطع بعضهم شوطا بعيدا في التأثر بالأفكار و التخيلات الغربية)

(1) https://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-81705.htm,27/3/2018-2:30.

إن الأسئلة التي طرحتها ثورة 1924م و هي التي فتحت أذهان المثقفين السودانيين، لكي ينظموا صفوفهم و يؤسسوا ما يعينهم لاداء رسالتهم في المجتمع، لذلك جاء عقد الثلاثينيات يحمل بشائر النهضة الفكرية وسط المثقفين السودانيين حيث أصدرمحمد عباس أبو الريش مجلة النهضة كمنبر للقوي المثقفة تقدم من خلالها أطروحاتها الفكرية في النهضة. كما أصدر عرفات محمد عبد الله مجلة الفجر كترياق نهضوي، و لكي تجيب المجلتان علي الأسئلة التي طرحتها ثورة 1924م ، و تصبح منابر لحركة المثقفين السودانيين، و شنت المجلتان هجوما عنيفا علي الطائفية و حذرت المثقفين من الوقوع في حضن الطائفية لأنهم سوف يخسروا معركة الحرية و التحرر، باعتبار إن للطائفية بناءات تقليدية تميل لمصالحها دون مصالح العامة. و كانت إفتتاحية مجلة الفجر التي حملت رسالة للسيدين تقول فيها (للسيدين منا التجلة و الإحترام و لكن مصلحة البلاد عندنا فوق مصلحة الأفراد و لهذا نتقدم للسيدين بهذا الرجاء النهائي و ننتظر منهما الجواب)[1]

لقد سئمت البلاد هذه الحزبية غير الموجهة و قد مضت أيام الزعامة الدينية التي ترتكن علي الأتباع من الدهماء الذين يرجون ثواب الآخر من غير الله) و ذكرت المجلة أن الشباب يريد من السيدين ثلاثة أشياء الأولي أن تعودا إلي ماضيكما و تكونا رجال دين لا هم لكما إلا العبادة و أن يأتي لزيارتكما من يؤمن في صلاحكما و يريد التقرب بكما إلي الله. و الثاني أن توحدا صفوفكما و تنبذا هذه الحزبية و تعملان في صف واحد و يشد أزركما الشباب المثقف حتى تعملان لخير البلاد. ثالثا و إن أبيتما إلا الحزبية فنرجو منكما أن تخلعا عنكما مسوح الدين و أن تكونا زعيمي أحزاب سياسية واجتماعية وعند ذلك نرجو منكما أن تصدرا للناس برامجكما السياسية و الاجتماعية لينضوي تحت لواء أحد الحزبين من يؤمن في المرجع. كان دعاة النهضة في مجلتي النهضة و الفجر يعتقدون إن إشكالية السياسة و

---

(1) https://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-81705.htm,27/3/2018-2:30.

الثقافة في السودان هي البناء التقليدية و تدخل الطائفية. كتب محمد أبو القاسم حاج حمد في كتابه "السودان المآزق التاريخي و أفاق المستقبل" ص 29 يقول:(كان الهجوم علي الطائفية جريئا و عنيفا رغم قلة العددية للمثقفين السودانيين في ذلك الوقت، و بالرغم من إن الجسور كانت تمتد من قادة الطوائف إلي كبار زعماء الخريجين في النادي، إلا أن السيدين كانا ينظران بقلق عميق إلي تلك التيارات الصاعدة مما أكد لديهما مستقبلا، و بعد عشرين عاما أي في عام 1956م أن التعاون مع حركة المثقفين لا يعني سوى نهايتهما التاريخية.و قد تقرر الهجوم لدي لقاء السيدين في 4|11|1955م غير إن " الوطني الاتحادي" المتمخض من حركة المثقفين لم يكن هو مجموعة "الفجر" الصلبة و لا كان في صلابة أحمد خير)[1].

فالصراع مع الطائفية إن كان في فترة مؤتمر الخريجين أو فترة النضال من أجل الاستقلال، كانت إحدى الأسباب التي صرفت البعض في التفكير عن صناعة النهضة في البلاد، و البعض الأخر كان هدفه السلطة ، و هي تعتبر سببا في استنجاد بعض النخب السياسية بالمؤسسة العسكرية، الأمر الذي غير من مسارات العمل السياسي في السودان في إتجاهات سالبة، فالطائفية كانت أداة مانعة في أن يتجه المثقفين إلي اتجاهات الفكر، و النقد، فالثقافة التقليدية الصوفية فرضت علي المثقفين التعايش مع ثقافة الخضوع بعد ما توقفت مجلتا الفجر والنهضة في عقد الثلاثينيات بدأت مسيرة مؤتمر الخريجين، حيث أنتقلت صراعات القوي الحديثة في المجتمع إلي المؤتمر، و لعبت الطائفية دورا كبيرا في مسيرة المؤتمر، و استطاعت أن تستقطب أعدادا من المثقفين الناشطين، و حتى من كتاب مجلتي الفجر و النهضة الذين قادوا عملية الاستنارة في فترة عقد الثلاثينيات، و لكن لم تغيب الأسئلة التي حاولوا الإجابة عليها علي صفحات المجلات والصحف، ومنبر مؤتمر الخريجين، و فترة المؤتمر، كانت تمهيدا لمرحلة إعداد المثقفين السودانيين لمرحلة أهم و أخطر في تاريخ

(1) https://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-81705.htm,27/3/2018-2:30.

السودان، و هي مرحلة الاستقلال، لذلك كان الانتقال من مؤتمر الخريجين إلي تكوين الأحزاب السياسية في عقد الاربعينات قد فرضته الأجندة الجديدة المتعلقة بالنضال من أجل الاستقلال، حيث انقسم المثقفون السودانيون إلي شقين؛ الأول ينادي بوحدة وادي النيل، و الثاني ينادي بالاستقلال، الأمر الذي خلق جدلا واسعا في المجتمع وسط الطبقة المثقفة، و هي كانت تمثل المرحلة الأهم في تاريخ البلاد، و اتجهت مجهودات كل المثقفين لكيفية تعبئة الشارع السوداني بكل مكوناته لتحقيق هذه الأجندة، فالمرحلة كانت تتطلب حشد كل الطاقات من أجل التحرير، حتى وصلت كل القوي السياسية إلي قناعة واحدة تحسم بها قضية الاستقلال، الذي كان من داخل البرلمان في 19 ديسمبر 1955م لكي تنتهي مرحلة، و تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ البلاد.(1)

(1) https://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-81705.htm,27/3/2018-2:30.

المبحث الثالث
ردود الفعل المصري والبريطاني

كانت نتائج ثورة الثورة الوطنية السودانية في شهر نوفمبر عام 1924م ذات أبعاد كبيرة علي كل من مصر والسودان، إذ بات واضحا لأول وهلة أن الموقف البريطاني كان نصرا كاملا على الحركة الوطنية في كلا شطري وادي النيل، ففي مصر سقطت وزارة الوفد الوطنية وخلفتها وزارة متعاونة مع السلطات البريطانية هي وزارة زيور باشا منذ 24 نوفمبر قبلت المطالب الخاصة بنظام الموظفين الأجانب بدون قيد قائلة أنها تفعل ذلك مذعنة إلى حكم الضرورة ومدفوعة بالرغبة الأكيدة في المسالمة وحسن التفاهم، فانسحب الجنود الإنجليز من جمرك الإسكندرية وسلمت بسلطة المستشارين المالي والقضائي، واعتقلت السلطة العسكرية البريطانية جماعة من المصريين أما بواسطة جنودها أو بواسطة رجال البوليس المصري واتصل القسم الأوروبي بوزارة الداخلية مباشرة بالمديرين لإبلاغهم تعليمات فخامة المندوب السامي بشان المحافظة على أرواح الأجانب. (1)

وصار واضحا أن الإنجليز مصممون على عدم عودة الوزارة الوفدية بأية صورة حتى ولو استدعي الأمر التدخل لإيقاف البرلمان المصري أو لإلغاء الانتخابات أو حل البرلمان بعدما تظهر الانتخابات عودة الأغلبية للوفد، ومن الخطوات التي اتبعت في هذا المجال صدور قرارات بعدم تدخل الطلاب في الشئون السياسية، وكانت تنظيمات هؤلاء سندا قويا لسعد ورجالة، كما أن عددا كبير من ضباط الجيش المصري ابعدوا من السودان إلى مصر نقلوا إلى أماكن أخرى كالبوليس وحفر السواحل وغيرها بهدف تشتيتهم. (2) ولم تجد احتجاجات الوفد إذناً صياغة لدى وزارة الخارجية البريطانية على الانتهاكات الدستورية في مصر وعلى حرمان المصريين من الاستجابة لرغبة السودانيين في الارتباط معهم.

---

(1) محمد شفيق غربال ، مرجع سابق ، ص164.

(2) محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية ، مصر ، 1956م ، ج 1، ص 212.

واراد اللورد اللنبى السير في طريق أبعاد كل اثر للوجود المصري بالسودان باقتراح إلغاء اتفاقية الحكم الثنائي، رغم أن السلطة المصرية في السودان كانت قد أنهيت فعلاً، وذلك رغم الوضع القانوني لمصر في السودان ظل قائما بعد عام 1924م، إلا أن المندوب السامي البريطاني شعر انه ليس ثمة ما يقف أمام هذا الإلغاء من اعتبارات قانونية آو أخلاقية، إلا أن الحكومة البريطانية رفضت هذا الاقتراح، وجاء على لسان السير اوستن تشمبرلين وزير الخارجية في خطبة له في مجلس العموم في 15 ديسمبر 1924م بان حكومته مصممة على البقاء في السودان في المستقبل ما دام هذا ضرورياً للقيام بمسئولياتنا وواجباتنا نحو الشعب الذي نحكمه، ونحن لا نرغب في إلغاء الحكم الثنائي، وإذا ما عملت الحكومة المصرية الجديدة الصديقة معنا . كما أمل . فان الحكم الثنائي سيبقى ويستمر وسوف نعترف به ونظل مخلصين له. وارتبط الموقف الحكومي البريطاني بالإبقاء على الحكم الثنائي بتصميم أن تكون هناك سياسة قوة في السودان فبعد إجلاء القوات المصرية من السودان إلى مصر، تبعها طابور من صغار الموظفين الرسميين من الكتبة، والفنيين، والمدرسين، وملا السودانيون بعض الوظائف التي كان المصريون يشغلونها، واستعان الحكم البريطاني بجماعة من اللبنانيين لشغل بعض الوظائف الأخرى التي كان يشغلها الموظفين المصريون، ومع ذلك بقيت وظائف لا تجد من يشغلها، وبالتالي فان سياسة تمدين السودان قد تعرضت للاختناق. (1)

واتبعت السلطات البريطانية في السودان سياسة إنهاء كل ما يربط السودانيين بالمصريين، وأيضاً ملاحقة الحركة الوطنية وتأييد الزعامات الدينية والقبلية المتعاونة معها لتحقيق هذه السياسة، ففي الجانب الأول من تلك السياسة انشأ الحاكم العام الجديد جيوفري ارشر ما عرف باسم قوة دفاع السودان من الجنود والضباط السودانيين في الجيش المصري

---

(1) رأفت غنمي الشيخ ، المرجع السابق ، ص 386.

الذي أرغم على الرحيل منذ 17 يناير 1925م لسد الفراغ بخروج العسكريين المصريين من السودان، ولم تفلح محاولات الحكومة المصرية لاقناع الحاكم العام الجديد المؤيد من حكومته عن هذا العزم، وان كانت الحكومة البريطانية وافقت على أن يحدد قيمة ما تدفعه مصر لنفقات القوة العسكرية السودانية الجديدة بمبلغ 750 ألف جنية [1]

كما عملت السلطات البريطانية على أبعاد المظاهر الباقية لمشاركة مصر في الحكم الثنائي بالسودان فرتبت مجلسا دينيا قرر منذ آخر ديسمبر 1924م ترك الدعاء لملك مصر على المنابر في خطب الجمع والأعياد والدعاء فقط لخليفة المسلمين . بينما انتهت الخلافة الإسلامية العثمانية آنذاك ولم تنقل إلى مكان آخر، كما منعت الفرقة الموسيقية من عزف النشيد المصري عند قدوم الحاكم العام الجديد إلى الخرطوم، واكتفى بعزف النشيد البريطاني، مع أن القاعدة كانت أن النشيد المصري يتقدم النشيد البريطاني دائما. كما أن حكومة الخرطوم إمعاناً في فصل السودان عن مصر فتحت اعتمادا بمبلغ 600 ألف جنيه لإنشاء خط استحكاما بين مصر والسودان، وكان من المفهوم أن هذا الاستحكامات لا تفيد إلا في صد الجيش المصري عن دخول السودان. [2]

وفي الجانب الثاني من سياسة الحكم البريطاني بالخرطوم فقدت الثقة في الطبقة المتعلمة السودانية وناصب البريطانيون أفراد هذه الطبقة العداء، بإبعاد هذه الصفوة السودانية، الذين لم تستطيع مبادئ الحرية التي يعتنقونها أن تجعلهم يوافقون على تسلط الحكم الاستعماري. وأغلقت المدرسة الحربية، كما أهملت المقررات المحددة لتدريب صغار الموظفين, كما وضعت كلية غردون ومؤسساتها تحت المراقبة [3] وجعلوهم الطلاب مسؤلين عن كنس غرف داخلياتهم وتنظيم فرشهم وحمل أكوام الرمال بعد الظهر، كما منعت تلاميذ

(1) رئاسة مجلس الوزراء :السودان من 13فبراير 1841 إلى12فبراير 1953م ص 37.

(2) احمد شفيق باشا، المرجع السابق، الحولية الثانية، 1925م ، ص 361.

(3) رأفت غنيمى الشيخ ، المرجع السابق، ص 387.

المدارس الأولية من الجلوس على مقاعد واستبدلتها بالحصير بعد أن باعت مقاعد كل المدارس في مزاد علني[1] ومن يضبط متلبسا بجريمة قراءة الجرائد المصرية يعاقب بالجلد وربما طرده من المدرسة.

وفي الجانب الثالث من السياسة البريطانيين في السودان ظهرت فكرة إحياء الزعامات الدينية والقبلية المضادة للطبقة المثقفة التي صارت أكثر تعاونا مع السلطات البريطانية في معاداة والزعماء الدينيين والحصول على تعضيدهم وإيجاد حساسية بينهم وبين الطبقة المتعلمة، ومن الأمور المثيرة للسخرية، انه بينما عمل "وينجت" على حماية السودان ضد ثورات القبائل ، فإن خلفاءه من البريطانيون يعملون على حمايته من صفوة السودانيين وأصبح الاعتماد الأكبر على تحويل السلطان القبيلة للإدارة أكثر من تسليم المسئوليات الإدارية إلى الموظفين المدنيين السودانيين الذين يعملوا تعليما غربيا.وفي الحقيقة فان أساس السياسية البريطانية في السودان حتى الحرب العالمية الثانية كانت العمل على عزل الصفوة السودانية ومراقبة أفرادها والشك فيهم وحتى الخوف منهم وعلى هذا تأثر بعض السودانيين بالسياسة البريطانية فنادوا بفكرة (السودان للسودانيين) كفكرة مضادة لمصر وللحركة الوطنية السودانية التي تقودها الصفوة المتعلمة، ولكن هذا البعض لم يتخذ خطوات لانتزاع حريتهم ممن يكتبونها وهم الإنجليز، ولقي هذا الفريق التأييد الكامل من الإنجليز طالما أنهم يناهضون المصريين وحدهم ولم يطالبوا بالاشتراك في الحكم أو تدرج نحو الحكم الذاتي والاستقلال [2].

وسارت السياسة البريطانية في السودان على نحو يعتمد على الزعماء الدينيين والقبليين المتعاونين مع المخططات البريطانية، وفي نفس الوقت إبعاد الشباب المتعلم عن تولى وظائف كبيرة أو مسئوليات تتيح لهم فرصة معاداة السياسة البريطانية، وذلك بتقييد

---

(1) ضرار صالح، المرجع السابق، ص 250.

(2) مكي شبيكة ، المرجع السابق ، ص 495.

توظيفهم عن طريق الخدمة المدنية حتى يصبحوا موظفين في الدولة فيمنعوا من أي نشاط سياسي بعكس ما إذا شقوا طريقهم قي الأعمال الحرة. كما سارت هذه السياسة ليس فقط لفصل السودان عن مصر بل وأيضاً لفصل جنوب السودان عن شماله بوضع التعليم في الجنوب في يد البعثات التبشيرية الأجنبية، وإبعاد اللغة العربية عن أن تكون لغة التعليم في مدارس الجنوب. وكان على راس الحكم في السودان بعد مصرع السردار لي ستاك، سير جوفري آرثر منذ عام 1925م الذي لم يصبح سرداراً للجيش المصري بل اقتصر على وظيفة الحاكم العام للسودان، ولكنة لم يمكث طويلا في منصبة إذ استقال لخلاف مع اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في مصر الذي خلف اللورد اللنبي منذ عام 1925م، وجاء الحاكم العام الجديد للسودان وهو "جون مافي" ومساعدة هارولد ماكمايكل في وظيفة السكرتير الإداري، بسياسة بريطانية صرفة نحو السودان استمرت مع بقائهما في الخرطوم حتى 1933م.وقد حدد الحاكم العام الجديد سياسة بريطانيا نحو السودان في مذكرة كتبها بتاريخ 1 يناير 1927م جاء فيها أن الاعتبارات السياسية ما زالت غير معقدة في السودان، ولكن لا يوجد شى يبقى على ما هو عليه، ونحن هنا في الخرطوم على دراية تامة بكل مراكز القوى السياسية الجديد [1].

ولمدة طويلة كان المسئول الإداري البريطاني في السودان يشغل وظيفته كوالد للناس. وفي أماكن كثيرة سيظل على هذا الوضع لوقت طويل. ولكن البيروقراطية يجب أن تخضع أما لحركة اوتوقراطية أو لحركة ديمقراطية ومن المخاطرة الأخذ بالنظام الأخير . الديمقراطي . وإذا رغبنا في النظام الأول . الاوتوقراطى . فان على المسئول البريطاني أن يحقق من أن من واجباته أن يترك جانبا الحكم كوالد للناس. ويجب عليه أن يعهد بالمسئولية إلى القادة أو الزعماء الطبيعيين أو التقليديين للناس الذين عليه تأييدهم وإعطائهم السلطة كلما كان ذلك

(1) ضرار صالح، المرجع السابق، ص 250

ضرورياً ، وبهذا الطريقة فان السودان سوف يقسم بهدوء إلى معسكرين متوازنين، غدد حامية ضد الجراثيم الفتاكة التي من المحتم أن تنتشر من الخرطوم في المستقبل، فإذا فشل ذلك الدرع الواقي فإننا سوف نقع في حرب خاسرة خلال طول البلاد وعرضها. (1)

واخذ الحاكم العام بنفس سياسة سلفه في محاربة التعليم الذي نظر إليه كمصدر للخطر على الوجود البريطاني، وأغلق مدرسة وكلاء المامير التي كان يتخرج منها السودانيون للعمل في الإدارة، وبعد إغلاق المدرسة الحربية صار الترقي لرتبة الضباط من بين الجنود، وأصبح التعليم يحرم الشباب السوداني من وظائف الإدارة والجيش، وضيق الخناق على المتعلمين في سفرهم لمصر حتى لا يروا النور واسترعت هذه السياسة الرجعية انتباه السير جيمس كري أول مدير للمعارف في السودان من بداية تنفيذ اتفاقية الحكم الثنائي حتى عام 1914 م، عندما زار السودان مرتين الأولي في سنة 1926 م والثانية سنة 1932 م. (2)

---

(1) مكي شبيكة ، المرجع السابق ، ص 498.

(2) رأفت غنيمى الشيخ ، المرجع السابق، ص 388.

الفصل الرابع

مؤتمر الخرجين عام 1935- 1945م

المبحث الأول: شمولية المؤتمر

المبحث الثاني: الزعامات التقليدية وموقفهم من المؤتمر

المبحث الثالث: المجلس الاستشاري 1937– 1945م

المبحث الأول
شمولية المؤتمر

في عالم مضطرب داخلياً وخارجياً، ومجتمع قلق مبلبل الأفكار ناقم علي الأوضاع، وحكومة حائرة مشفقة من العواقب العملية لمعاهدة 1936م، وسط هذه العوامل المتضاربة وهذه الظروف المتعارضة التي كانت تتجاذب المجتمع السوداني، فتدفعه طوراً إلى مهادي اليأس القاتل والواقعية الذليلة، وترتفع به أخرى إلي أعلي موجات التفاؤل والثقة بالانتصار، وعلى يد جيل أفاد من تجارب السنين وصهرته جحيم الدواوين والمصانع الحكومية، بقدر ما أفاد من محتويات الدفاتر والكتب واكتملت له عوامل التهيؤ كما بدا يحس أن العالم الخارجي مقبل على أزمة حربية حادة، ولد مؤتمر الخرجين العام بالسودان.جاء المؤتمر كالطفل المدلل في أسرة عريقة الحسب موفورة النسب محرومة من الولد والذرية فولاه جميع الخريجين عطفهم وحنوهم وحماسهم. ومن فرط الحب والحنان أختلط من قبر حياته[1]

وكان أول ما ظهرت الفكرة في تكوين مؤتمر أو هيئة تضم الخرجين في سنة 1935م حين جاء ذكرها في صحيفة السودان ولكن هذه الفكرة الأولي لم تظهر إلى حيز الوجود بعد أن تناولها بالمناقشة كل من خضر حمد وأحمد خير[2] ولعل سبب موتها في ذلك الوقت أنها وجدت معارضة من الإدارة البريطانية في السودان. ولكنها عادت وظهرت مرة أخرى بعد إبرام المعاهدة المصرية البريطانية وكان ذلك في عام 1937 حين برزت الفكرة للمرة الثانية في الجمعية الأدبية لنادى الخريجين بود مدني أي بعد حوالي سنتين من ظهورها لمرة الأولي ويتفق جميع المعاصرين على أن الجمعية الأدبية بمدني وآلتي كان معظم أعضائها من مدرسة أبور وف الفكرية[3] مثل حماد توفيق وإسماعيل العتباني هي التي حملت الفكرة في

---

(1)أحمد خير المحامى، مرجع سابق، ص59.

(2)أحمد إبراهيم دياب، مرجع سابق، ص51.

(3) أحمد خير، مرجع سابق ، ص59.

إطارها الجديد فيقول أحمد(إن فكرة مؤتمر الخريجين العام تكونت أولاً بصورة صريحة من قلب جمعية واد مدني الأدبية[1]ويقول إسماعيل الأزهري في مذكراته "نبتت الفكرة في الجمعية الأدبية لنادى الخرجين بمدني[2] قد أيد هذا القول أيضاً خضر حمد في مذكراته بقوله "أيد أحمد خير هذا المقال بمحاضرة ألقاها في نادى الموظفين بود مدني وكانت به الجمعية الأدبية.

وكانت محاضرة أحمد خير هذه بعنوان "واجبنا السياسي في مؤتمر الخريجين والتي جاء فيها واجبنا الأول هو الاتحاد الفكري واعني بالإتحاد الفكري انتظام الطبقة المستنيرة ولا أقول المتعلمة في هيئة محكمة النظام لاستقلال منابع القوة والنضال في هذا البلد. فإذا انتظم السودان المستير في رابطة أو مؤتمر أو نقابة مركزها لجنة النادي بأم درمان وفروعها في الأقاليم. و قد تولي أحمد يوسف هاشم نشر المحاضرة في مجلة الفجر وعقب عليها مؤيداً وملحاً علي قيام مؤتمر الخرجين بقوله وأن مستقبل السودان يتوقف علي جهود هذا السبيل الناشئ[3] كما كتب حامد حمدي مقالاً أيد فيه اقتراح أحمد خير قائلاً بأنه اقتراح علمي ويمكن تنفيذه ويحتاج لشجاعة لتنفيذه. كما كتب مرغني دفع الله مقالة في جريدة السودان واصفاً الفكرة بأنها الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يتحد عن طريقها شباب البلد وأنها فكرة صحيحة جاءت في الوقت المناسب حتى يتمكن الخريجون من تهيئة أنفسهم للوضع الجديد[4]

ويذكر خضر حمد في مذكراته أن أحمد خير بعد أن ألقي المحاضرة في نادي الخريجين بمدني أرسل نسخة منها له وأخري للجنة نادي الخريجين بأم درمان.ومن هنا بدأ التفكير في تكوين مؤتمر الخريجين وجد الخريجون في وسائل لتحقيقها وقد أدى كثيرون أن

---

(1) مذكرات أزهري – الحلقة 19 صحيفة الأيام في 1957/6/24م.

(2) خضر حمد – مذكراته، ص86.

(3) مجلة الفجر السودانية – العدد 6 المجلد 3 بتاريخ 1937/5/16م/الخرطوم.

(4)جريدة السودان – العدد 287بتاريخ 23نوفمبر / 1937م الخرطوم.

فكرة الخريجين من بنات أفكارهم وأنهم هم الذين فكروا فيها وأنهم وحدهم أصحاب فكرة المؤتمر ونسي هؤلاء أو تناسوا أن إنشاء عمل عام يحس بالحاجة إلية كل الناس ويفكرون فيه لا يقوم إلا إذا كان هناك شعور عام مهيأ له . وليس أريد أن أنكر على أحد حقاً ولكي قصد أن أقر أن الشعور الوطني والإحساس بالحاجة إلي التكتل كان موجوداً في النفوس ولكن على أشكال مختلفة وكان الأقدام بالمستقبل أيضاً مختلف ولكن الذي لاشك فيه وكان متوفراً عند الجميع ومتفقاً عليه هو الرغبة في توحيد الكلمة جميعها في مكان واحد أو ربطها بفكر واحد[1]

لقد دعاء لف كرة المؤتمر نفر غير قليل من المتفقين في أوقات مختلفة ولكنها كانت فكرة غير محددة فعرفات محمد عبد الله كان يدعو إلي ضم صفوف الخرجين " خريجين كلية غردون وتكونت وحدة تمثلهم وكذلك تحدث قبله وبعده بعض الخريجين عن شيء من هذا لكنهم لم يسموه مؤتمراً. كما أنهم لم يجهروا بآرائهم في المجتمعات ولم يدعو لاعتناقها دعوة صريحة جرئيه لما فعل خضر حمد وأحمد خير . يمكن القول بأن دعوة عرفات وغيره كانت من قبيل الجائشات الوطنية التي تصبح في الصدور والتي بلا شك قد أحسن بمثلها أغلبية الخريجين ولولا أن هذا الإحساس يخلق وحدة تمثل الخريجين وتعمل لمصلحة البلاد عامة علي قرار ما حدث في البلاد الأخرى التي كانت ترزح تحت وطأة الاستعمار وتكافحه، لولا أن هذا الإحساس استولى علي مشاعر عدد كبير من الشباب لما وجدت فكرة المؤتمر سبيلها أي الظهور. ويروى أحمد خير على حالة التهيؤ في نفوس الشباب لقبول الفكرة " كانت أي دعوة لا يتوفر لها القبول والنجاح إلا إذا نبتت من وحي الجماهير والمجموعة فإن الدعوة إي

(1) خضر حمد – مذكرته . ص87.

المؤتمر، وإن وردت على لسان فرد، ما كان كتب لها النجاح لو لم تكن نتاجاً مشتركاً لجماعة من الرجال تنظمهم الجمعية الأدبية بنادي الخريجين بود مدني[1]

فميلاد فكرة مؤتمر الخريجين في رؤوس من فكروا فيها وربط ذلك الميلاد بزمن معين وحصر الأسباب والدوافع التي عملت على إخراجها أمر تصل درجته الي المستحيلات وذلك لأن فكرة قيام " مؤتمر الخرجين"إنما كانت دعوة للنضال الوطني بهدف إقامة دعائم الحرية بين مجموعة من السودانيين فيهم علي صدورهم وخنق أنفاسهم وتصرف في أقدامهم وفرق بينهم الاستعمار البريطاني. [2]

أهداف مؤتمر الخريجين:

يمكن تلخيص الأغراض التي نودي بها خلال الندوات والليالي السياسية لتكون أهدافاً للمؤتمر المرتقب في الآتي:

1. معالجة ما يعانيه السودان من شيوع الفوضى الاجتماعية آنذاك ببث عواطف الخير في النفوس، ودفعها إلى العمل المشترك وإشعار الأفراد بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، والعمل على رفع كابوس الجهالة.
2. محاربة الحزبية أي الطائفية التي كانت قائمة وعدم الاعتراف بها والعمل على موتها أو توجيهها إلى سواء السبيل وذلك بجعلها ذات مبادئ وبرامج.
3. خلق الرأي العام وذلك بتهيئة النفوس بأنها تملك حق التعليق على الثورة في وطنها بصراحة.
4. تقريب وجهات النظر بين الخريجين وإزالة ما بين صفوفهم من جفاء، وإخراجهم عن عزلته، ودفعهم إلى التعاون.

---

(1)أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق ، ص54.

(2) جريدة السودان عدد يوم 1935/7/14م ومن كتاب أحمد إبراهيم دياب ، ص55.

5. العمل على إزالة الحقوق والامتيازات التي تنال من كرامة الفرد السوداني، وتحقيق رفاهية الشعب السوداني التي أشارت إليها معاهدة 1936 المصرية – البريطانية.
6. القضاء على القبلية وسلطانها ومحاربة الإدارة الأهلية [(1)].

وفي نطاق هذه الحدود والقيود وتحت هذه الأضواء لابد من تصحيح بعض الأخطاء حول الدعوة لتأسيس "مؤتمر الخريجين" التي ظهرت أول مرة في 17يوليو من عام 1935م علي صفحات جريدة السودان في مقال" في الهدف" بإمضاء "طبجي" وهو المرحوم خضر حمد الذي كان يكتب إسبوعيات في الهدف قال فيه " لم نفكر قط في أن نجعل من هذا اليوم مؤتمراً نبحث فيه أمورنا العامة التي تتعلق بماضي البلاد وحاضرها ومستقبلها. وتعرض أعمالنا في بحر العالم المنصرم الصالح من الظالم حتى يكون لا اجتماعيا معني ولغيرنا أثر في حياتنا العامة.

ورد علية أحمد خير في عدد يومي 20و1935/7/24م بجريدة السودان بمقال بعنوان " خطاب مفتوح إلى طبجى"قال فيه معرض ردة أن (طريقنا إي ذلك أما حركة استبدادية تحت لظروفنا ووضعنا السياسي أبعد ما نكون عنها أو بالتعاون الديمقراطي. فإلي مؤتمر الخريجين. إلي مؤتمر قوامه صداقة العالم ودودة اتزان العمل وغرضه خدمة القضيتين قضية الخريجين كطبقة وقضيتهم العامة باعتبارهم جزاء من هذا الكيان. إلي اللقاء في مؤتمر الخريجين وإلي لجنة النادي[(2)]

أقدم الاقتراح فهل من مثني " مؤيد "وهل الي تنفيذه من سبيل[(3)]

لإعداد الاجتماع العام التاسيسي للمؤتمر شكلت لجنة تمهيدية مثلت فيها كافة الإتجاهات التي كانت سائدة في صفوف الخريجين وكان أعضاء هذه اللجنة هم: اسماعيل الازهري ،

---

(1) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص54.

(2) لجنة النادي يقصد بها لجنة نادى الخريجين بأم درمان

(3) جريدة السودان عدد يوم 1935/7/24م ومن كتاب أحمد إبراهيم دياب ص55

وأحمد عثمان القاضي ومحمد عثمان ميرغني وحسن كرار ومعنى محمد حسن ، ويحي الفضلي وعبد الماجد احمد وابراهيم احمد حسن ، وعبدالله ميرغني ومكي شبيكة وأحمد محمد يس.(1)

وكان أول قرار اتخذته اللجنة التمهيدية إقامة ندوة اسبوعية يتحدثون فيها عن تصورهم لاختصاص وعمل مؤتمر الخريجين وكان سكرتير اللجنة التمهيدية الدكتور مكي شبيكة يسجل خلاصة الآراء ، تكونت لجان صغيرة متعددة أخذت علي عاتقها الاتصال بكبار الخريجين ، وترك المؤتمر في اجتماعه العام ان يختار من يشاء مع ضمان انتخاب كبير الخريجين وأخيراً انعقد الاجتماع بنادي الخريجين بام درمان في ثاني عيد الأضحي المبارك 1356م و14 فبراير 1938 وحضره 1180 وثم انتخاب لجنة تنفيذية مخن خمسة عشر من ضمن اللجنة المنسقة السابق: 1) اسماعيل الازهري 2) محمد صالح الشنقيطي 3) عبدالماجد أحمد 4) الدرديري محمد عثمان 5) الدرديري محمد صالح 6) أحمد محمد صالح 7) حسن الطاهر 8) محمد نور الدين 9) ابراهيم أحمد 10) حماد توفيق 11) ميرغني حمزه 12) عبدالمنعم محمد 13) حسن عثمان اسحق 14) محمد الخليفة شريف 15) عبدالله ميرغني.(2)

هؤلاء يتناوبون رئاسة المؤتمر كل شهر وقد تقرر ان تكون الرئاسة شهرية درءاً للحساسيات ، وانتخب ثلاثة من المحترمين لإدارة شئون المكتب وهم: اسماعيل الأزهري سكرتيراً عاماً يعاونه السيد حماد توفيق السيد عبدالله ميرغني اميناً للصندوق ، فقد تقرر ارسال خطاب المؤتمر للسكرتير الإداري يخطره بتكوين هيئة الستينية واللجنة التنفيذية ويلخص له أهداف المؤتمر الاجتماعية والاقتصادية وصلت موافقة السكرتير علي قيام

(1) فيصل عبدالرحمن علي طه ، الحركة السياسية السودانية ، الصراع المصري البريطاني بشأن السودان ، 1936–1953م ، ط3 ، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي – السودان ، ص95

(2) مذكرات أحمد حمد يس ، مرجع سابق ، ص73–74.

المؤتمر بدون إشارة اي بنود المؤتمر وأبدي تحفظاً ، بل يعد ما ايدى توجيهاً أو انذاراً يقول أنه علي المؤتمر ان لا يدعي اي تمثيل لغير الأعضاء المنضوين تحت لوائه ، وغير ذلك من التحفظات ، ولم تلبث لجنة المؤتمر التنفيذية ان فرغت من وضع دستور المؤتمر ولائحته وكونت لجان متخصصة ودعت للاجتماع العام للمؤتمر الثاني 1939م اجرت انتخابات للهيئة الستينية وانتخب جميع اعضاء اللجنة النفيذية السابقة في الهيئة الجديدة كما انتخب سبعة منهم في اللجنة النتفيذية الجديدة واعتذر بعضهم عند الترشيح واتجه الجميع توجهاً قومياً ، وقد أخبرت اللجنة التنفيذية الجديدة علي الوجه التالي ، اسماعيل الازهري وعبدالماجد احمد وحماد توفيق وميرغني حمدت ونصر الحاج علي وعبدالله ميرغني ومحمد صالح الشنقيطي وعلي البرير والشيخ احمد السيد الفيل وابراهيم أحمد ومعنى محمد حسن وعلي عبدالرحمن ومحمد عثمان ميرغني ومحي الدين جمال ابوسيف ومكي شبيكة وانتخب للمكتب اسماعيل الازهري سكرتيراً عاماً وحماد توفيق نائب سكرتير زمحاسباً وعبدالله ميرغني اميناً للصندوق واهتمت اللجنة بشؤون الطلبة الدارسين في مصر ومشاكل التعليم.[1]

الاجتماع الثالث لمؤتمر الخريجين:

في هذا الاجتماع تطلع الشباب لدخول الهيئة الستينية في شكل مدارس فكرية ونصف شباب الهيئة الستينية من المحفز وانتخب اللجنة التنفيذية للدورة الجديدة علي النحو التالي : حماد توفيق وعلي عبدالرحمن وعبدالماجد أحمد اسماعيل الازهري وعوض سأتي وعبدالله ميرغني والشيخ أحمد السيد الفيل وخضر حمد ونصر الحاج علي وعلي البرير ومعنى محمد حسن وابراهيم أحمد وميرغني حمزة وابراهيم يوسف سليمان ومحمد صالح الشنقيطي.واجتمعت اللجنة التنفيذية وقرر ان تستمر الرئاسة دورية شهر لكل عضو واختيار مكتب السكرتارية علي الوجه التالي:

---

(1) مذكرات أحمد حمد يس ، مرجع سابق ، ص 8.

حماد توفيق سكرتيراً عاماً وخضر حمد مساعد سكرتير ، عبدالله ميرغني اميناً للصندوق ، وابراهيم يوسف سليمان محاسباً كما اهتم بالتعليم. وجاءت ثورة الحرب العالمية الثانية وإعلان ميثاق الأطلنطي في عام 1941م وما جاء فيه من وعود للشعوب الصغيرة وحقها في تقرير مصيرها بعد نهاية الحرب ، وغير ذلك من وعود الحلفاء البراق بهدف مساهمة هذه الشعوب في الحرب ضد الدول الغازية واتباعها لإثارة المشاعر القومية للسودانين ولذلك قرر المؤتمر الظهور علي المسرح السياسي فتقدم للسكرتير الإداري بمذكرة اشتملت علي انثي عشر مطلباً بمستقبل السودان السياسي والاوضاع الدستورية والاجتماعية ، فقد طالب المؤتمر بـ:[1]

1 - إصدار تصريح مشترك يمنح السودان حق تقرير مصيره علي ان يترك للشعبين المصري والسوداني حق تكييف علاقتهما الطبيعية باتفاق خاص بينهما.
2 - تأسيس هيئة سودانية لإقرار القوانين والميزانية.
3 - تأسيس مجلس أعلي للتعليم من السودانيين مع تخصيص 12% علي الأقل من الميزانية للتعليم.
4 - فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية.
5 - إلغاء قوانيين المناطق المقفولة.
6 - وضع تشريع يحدد الجنسية السودانية.
7 - تحديد الهجرة الي السودان.
8 - عدم تجديد عقد الشركة الزراعية بالجزيرة.
9 - قصر الوظائف علي السودانيين وما تدعو الضرورة لشغله بغيرهم يكون بعقود محددة الأجل إلي أن يتدرب السودانيون علي شغلها.
10 - إلزام الشركات التجارية بالسودان بتحديد نسبة من موظفيها للسودانيين.
11 - تمكين السودانيين من استثمار موارد بلادهم.
12 - توحيد برامج التعليم في الشمال والجنوب.

---

(1) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ، 1965م ، ص258.

وقد كانت هذه المذكرة بمثابة ناقوس الخطر الذي جعل الحكومة تدرك مدى خطورة المؤتمر ولذلك كانت هذه بداية اصطدام المؤتمر بالسكرتير الإداري الذي لفت انظار المؤتمر الي انه يجب ان يحصر نفسه في الشؤون الداخليه وان يقلع من دعوي في تمثيل البلاد تمثلا عاماً وانكرا عن المؤتمر اي حق في الدفاع عن البلاد [1]

وبذلت الإدارة محاولات لعلاج الموقف تارة بمحاولة التقارب مع الخريجين وتارة اخرى بالتفكير في إقامة مجلس استشاري سوداني لمواجهة المؤتمر واجهاض حركته وايجاد بديل له ، كما بذلت المحاولات لبذر بذور الشقاق بين اعضاء المؤتمر انفسهم.[2]

ولعل من المسلم به أن معاهدة 1936م التي تم الإنفاق عليها بين بريطانيا ومصر،قد أثارت التساؤل من الأسباب التي من أجلها لم يضم السودانيون للمفاوضات بشأنها في حين أنهم أصحاب المصلحة الحقوقين في بلادهم. ومن ثم تساءل جيلان، السكرتير الإداري " هل يتعين علينا القيام بضرب من ضروب الترقية للمتعلمين، إذا كان كذلك، فبأي وسيلة تقوم بذلك، أم بتعين علينا تجاهل طلب تمثيل الخريجين علماً بأن هذا الوليد إن تطور. عاملاً أم آجلاً. فإن علينا إما أن تمنع أكثر مما طلب، أو نعمل على قصر من يطالبون بالقوة والعنف"."مذكرة جيلان عن التمثيل الأهلي" وكان من رأي السكرتير الإداري جيلان أن مثل هذه الهيئة قد تكون من طبقة واحدة تضم الخريجين الصغار الذين يدعون بأنهم الصوت الوحيد الذي يجب أن يصغي إلية في تسيير دفة الأمور".وإن 90%منهم من موظفي الحكومة وذكر جيلان بأنه "يتعين علينا نوابه بحسم نشوء أي شكل من أشكال شبه التنظيمات[3].

(1) صحيفة الرأي العام ، العدد 284 ، مارس 1956م ، ابراهيم احمد العدوي ، يقظة السودان ، ص84.

(2) ضرار صالح ضرار : المرجع السابق ، ص258

[3] محمد سلامة النحال – نضال شعب السودان ، المرجع السابق ، ص193

المبحث الثاني
الزعامات التقليدية وموقفهم من المؤتمر

في غضون هذه الفترة حاول المؤتمرون في ظاهر الأمر على أي حال أن يلتزموا إزاء الطائفية أدق حدود أعياد الاستقلال الذين يدين بهما العنصر الغالب في صفوف الخريجين، إلا أن العنصر الغالب في الهيئة كان يسير في واقع الأمر تبعاً لاتجاهات الجماعة التي كانت تسيطر على النادي سنين الخلاف ومن أجل ذلك كان المؤتمر والمؤتمرون يحظون برضاء السيد عبد الرحمن المهدي وتأييده، الأمر الذي كان يثير اهتمام أنصار المهدي وأنصار المرغني كما يثير حفيظتهم، ويشاورهم من أجله القلق والشكوك والمخاوف ويذهبون في تأويله شتى المذاهب، الصحيح منها والخاطئ. لذلك ما إن برز في اجتماعات اللجنة ثم في الهيئة اقتراح عرضة الرئاسة الفخرية على الزعماء الدينين حتى عارضها هذان الفريقان بشدة عارضوها بالمحكمة والمنطق[1]

أحياناً، وبالعنف والاتهام أحياناً أخرى، وكانوا دائماً يصلون إلى غايتهم وهدفهم وهو إيقاف الخريجين بمناى عن الزعامات الدينية. وقد أعيد هذا الاقتراح بصورة ملطفة وهو منح الحضرية الفخرية لكنه لم يكن أسعد خطاً من الأول. وفكرة التعاون مع الزعماء الدينين ، وإن لم تنل رضاء الخريجين أو الجناح القوى دائماً لكنها ما فتئت تدور في أذهان وتعاود الظهور من وقت لأخر بالرغم مما يحق بها من مخاوف وما نجده من معارضة وإعراض وشغلت حيزاً كبيراً من تفكيرهم وجهودهم فعقدوا لها المناظر وتداولوا بشأنها المذكرات وهي عند أنصارها تشد علي أساس تبدو على ظاهرة السلامة والمنطق ، وعلى نظرة واقعية وهي أن الزعماء الدينين يحظون بنصب ساحق من التأييد الشعبي بل يكادون فيها بينهم يقتسمون هذا التأييد، فالتعاون معهم أمر لأزم لنجاح أي حركة شعبية.

---

(1)أحمد خير، المرجع السابق، ص65.

ويقولون المؤيدون أن هؤلاء الزعماء سودانيون لهم كامل حقوق المواطن وعليهم كل واجباته ونفوذهم الشعبي[1]

ومالهم كفيل بأن يهيئ لطبقة الخريجين ما تحتاجه من عتاد وذا خبرة للكفاح الوطني. وقد ذهب بعض دعاة الفكر إلي حد تأييد الملكية من حيث المبدأ.أن تقديم المذكرة لعلى ماهر أحيا الصراع بين شباب الخريجين وكبارهم. ثم بدأت في الظهور بعد ذلك في أوساط الخريجين أعراض الصراع "الحزبي"القديم الذي كان سبباً في انقسام الخريجين الأول في مستهل الثلاثينات إلا أنه أتخذ في هذه المرة طابعاً طائفياً واضحاً. وقد سارت الصراعات متوازية لبعض الوقت إلا أنها التأمت تدريجياً ليكوناً صراعاًَ واحداً. فبينما وقف أنصار السيد علي الميرغني وكبار الخريجين في جانب، وقف أنصار السيد عبد الرحمن المهدي وشباب الخريجين في الجانب الآخر. وكانت تتحالف مع السيد عبد الرحمن المهدي آنذاك الجماعة التي أصبحت تعرف فيما بعد بالأشقاء. وكانت هذه الجماعة تضم إسماعيل الأزهري ويحي الفضلى . وكان الأخير من أقدر نشطائها[2]

وفي ذات الوقت كانت العلاقة بين طائفتي الختمية والأنصار تمر بحالة توتر حاد. فخلال فبراير ومارس 1940م كان شباب الختمية يقومون بمسيرات في شوارع الخرطوم وأم درمان وهم يرددون هتافات موالية للسيد الميرغني ومعادية لخصومه وبصفة رئيسية السيد عبد الرحمن المهدي. اعتبرت حكومة السودان هذه المسيرات استفزازا للجماعات المنافسة لطائفة الختمية وتهديداً للأمن العام.ولذلك طلب السكرتير الإداري من السيد علي الميرغني في 24مايو 1940م حل تنظيم شباب الختمية، ولكنه لم يفعل ذلك بشكل نهائي وحاسم مما دفع السيد عبد الرحمن الي إنشاء تنظيم لشباب الأنصار. عندئذ تدخل مدير الأمن العام واستدعي

---

(1)أحمد خير، المرجع السابق، ص65.

(2) فيصل عبد الرحمن على طه، مرجع سابق ص126.

انتباه السيدين إلي أن مثل هذه الأنشطة تتعارض مع قانون العقوبات واللوائح دفاع السودان أبلغها بأن الشرطة قد حولت اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد أي مركب أو تجميع يقع تحت طائلة القانون.

ومما زاد من إجراء التوتر في علاقات الطائفتين دخول إيطاليا الحرب في يونيو 1940م فقد دارت بعد ذلك بقليل أحاديث عن تأييد[1]السيد الميرغني لايطاليا من خلال فرع الأسرة الميرغنية المقيم في إرتريا كما أن السيد علي أعتبر نفسه المعني بما ورد في محاضرة عن الصوفية ألقاها أحمد عثمان القاضي في سبتمبر 1940م في نادى خريجي المدارس بالخرطوم حيث هاجم المحاضر الطرق الصوفية المعاصرة واتهم قادتها بالاستغلال الجهل. وقد شن أنصار السيد علي الميرغني حملة احتجاجات علي أحمد عثمان القاضي مما أضطره إلى كتابة توضح في صحيفة " "صوت السودان"جاء فيه أنه لم يقصد بالمحاضرة الهجوم الشخصي على أحد أو طائفة معينة. وفي أورقة المؤتمر دعا أنصار السيد عبد الرحمن المهدي الشباب لمتحالف معهم في أغسطس 1940م إلى قيام جبهة وطنية عريضة تهتم بالخريجين والطوائف الدينية وزعماء العشائر والأعيان. وقد روجت صحيفة النيل" لهذه الدعوة واقترحت كذلك فتح باب العضوية في المؤتمر للتجار والمزارعين.[2]

وكان الخريجون الذين يؤيدون هذا الاتجاه يعتقدون أن الزعماء معهم ضرورة لنجاح أية حركة شعبية لتحرير الوطن ، والصخرة الصلدة التي التطمت بها فكرة التعاون مع زعماء الدين دائماً هي أن الزعيم الذي ينعقد له اللواء وتبايعه الأمة هو الذي يتقدم الصفوف ويسبق بالتضحية من مال ودمه علي أن يسير في الاتجاه الذي تملية الأكثرية وينبعث مرتفعاً لسماء القيادة من وحي الجنود. أما أن يجتمع المثقفون ويحرقوا أنفسهم بخوراً لرجل بينه وبينهم

---

(1) فيصل عبد الرحمن على طه، مرجع سابق ص.127.

(2) جعفر محمد علي بخيت، المرجع السابق ، ص27.

مجاب بتقاليد بلاط الملوك وبرتوكول الأرستقراطية أو حصون البابوية في القرون الوسطي فأمر دونه الاستعمار:[1]

ويزيد المعارضون قائلين لو أن الزعماء الدينين على وفاق من حيث المبدأ السياسي والأوضاع الاجتماعية والإنسانية لجاز للمتفقين أن يسيروا معهم ، أما واقع الأمر بخلاف ذلك فإن المنطق يقضي علينا أن نحتفظ بتوازن القوى وأن نستقل هذا الموقف إلي أبعد مدى لمصلحة حركة شعبية مشددة بديمقراطية والا فاننا ترتكب خيانة تاريخية نحو الوطن بالانحراف عن الجادة. كان الخلاف حول الرئاسة أو الحضرية الفخرية للزعماء الدينين سبباً غير مباشر في استقالة اللجنة لأول مرة في تاريخ المؤتمر قبل تمام دورتها فقامت لجنة جديدة أتمت الدورة في هدوء. بعد أن وضعت تقليد الرئاسة السنوية. وبذلك قضت مع الأسف علي تقليل من شأنه يجيب حركتنا الوطنية وأوضاعنا الاجتماعية مستقبلاً، كثيراً من العقد والمشاكل ، وفي عهد اللجنة الجديدة دار الحديث مرة أخري عن توسيع قاعدة المؤتمر وطرحت دعوة لتحويله إلى جمعية سياسية "أقلق التوجه السياسي للمؤتمر حكومة السودان ولذلك سارع مدير الأمن العام علي تحرير رئيس المؤتمر من فيه النص في هذا التوجه. وقد أقر رئيس المؤتمر بأن الوقت ليس ملائماً للنشاط السياسي وبعد ذلك بأيام قليلة نشرت مجلة المؤتمر "مقالاً" أرضي الحكومة. إذا جاء فيه هدف المؤتمر هو التعاون مع الحكومة في نطاق محدود من خلال الإطار السياسي القائم وليس تحدي أي من أساسيات ذلك الإطار أو التحدي عليها. وجرت انتخابات الدورة الرابعة للمؤتمر في 9 يناير 1941م على أساس التحالفات التي عقدت بين الخريجين والطوائف الدينية ، وبعد حملة نشطة تمكن أنصار السيد عبد الرحمن وحلفاؤهم من الحصول علي 44مقعداً في الهيئة الستينية للمؤتمر وعلي معظم مقاعد اللجنة التنفيذية. وكان أبرز عمل قامت به اللجنة الرابعة للمؤتمر هو تنفيذ مشروع يوم

(1)أحمد خير، مرجع سابق ، ص104.

التعليم في أحد أيام الإسلام وهو يوم الهجرة ويقول أحمد خير إنه قصيد بتخصيص يوم لجمع المال لدعم التعليم الأهلي كسب تأييد أفراد الشعب حتى يعرقوا المؤتمر بدليل محسوس متصل بحاجتهم المادية وهي تعليم فلذات كبارهم. قابل السيد علي الميرغني ومعظم رجاله يوم التعليم بفتور بلغ في النهاية الأمر حد المقاطعة. إذ أن السيد علي كان يرى في يوم التعليم عملاً دعائياً لسيد عبد الرحمن حيث أن أنصاره كانوا يسيطرون علي مقاليد الأمور في المؤتمر. وقد تأثر مركز السيد عبد الرحمن المهدي فقد آزر يوم التعليم مادياً وأدبيا مما أدى إلي صعود أسهمه في دوائر الخريجين. وقد ذكر أحمد خضر أن يوم التعليم وجد تأييد كبيراً من الرأي العام واكسب المؤتمر نفوذا شعبياً وبسبب نجاحه استعاد المؤتمر بعض ما فقد من عقوبته فارتفعت في عام 1941م إلي 1400عضوا[1]

(1) فيصل عبد الرحمن على طه. المرجع السابق ، ص129.

الخاتمة

النتائج

أتضح لنا من خلال دراسة تطور حركة الخريجين في السودان من 1918-1945م انه مثل انطلاقة لتبلور الوعي السياسي المنظم والجامع للطبقة المثقفة السودانية وتوحيد أهدافها لخدمة أهداف الشعب السوداني والمتمثلة بتحقيق الاستقلال الوطني ، إلى جانب ذلك كونه استطاع في الحصول على دعم ومساندة زعماء الطوائف الدينية في السودان (الختمية، الأنصار) الأمر الذي جعله يستطيع من الوقوف في وجه المستعمر البريطاني بوصفه قوة سياسية لها ثقلها الوطني، علاوة على ذلك إن المؤتمر كان بمثابة الممهد لقيام النظام السياسي السوداني، ونشوء الطبقة السياسية في السودان والتهيئة لبعث الروح السياسية الواضحة الأهداف والمعالم لدى المواطن السوداني، مما جعل المستعمر يفقد أهم مسببات وجوده في السودان بعدم وجود طبقة سياسية تستطيع قيادة البلد، بالتالي أصبح المؤتمر العامل الأساس لقيام هذه الطبقة السياسية المثقفة , مما مهد الطريق وبشكل متسارع نحو الاستقلال الوطني السوداني.

تعرض المؤتمر نتيجة لهذه المواقف إلى اخطر انقسام منذ إنشائه, فقد رأى المعسكر الذي فقد الثقة في الإدارة البريطانية أن يتجه نحو مصر ويتعاون معها لتحرير السودان وذلك رفع شعار الاتحاد مع التاج المصري وكان هذه المعسكر برئاسة إسماعيل الأزهري، بينما انسحب الفريق الأخر الذي سمي بالمعتدلين من المؤتمر وكانوا برئاسة عبد الرحمن المهدي والأنصار وانشأوا حزب أسموه حزب الأمة عام 1945م الذي جعل شعاره السودان للسودانيين وأيدوا استقلال السودان ، منطلقين من رؤية زعيمهم عبد الرحمن المهدي الذي كان له نظرة خاصة بالوجود البريطاني من خلال الاستسلام للأمر الواقع ورفض الثورة المسلحة , علاوة على

انه كان ينظر بمنظور طائفي ضيق من خلال حرصه على حماية طائفة (الأنصار) من الاضطهاد معد أن البريطانيين مستمسكون بالعدالة ما دامت لا تتعارض مع مصالحهم .

ثم بعد ذلك نشأت الاحزاب السياسية وأكبرها حزب الاشقاء وهم من الاحزاب الاتحادية وحزب الأمة من الاحزاب الاستقلالية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع:

[1] إبراهيم الحاردلو، الرباط الثقافي بين مصر والسودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطابعة الأولي، 1977م.

[2] احمد إبراهيم دياب، تطور الحركة الوطنية السودانية 1924م .1956م

[3] احمد خير المحامى، كفاح جيل، الدار السودانية للكتب، 2002م.

[4] احمد شفيق، حوليات مصر والسياسية ، الحولية الأولى، 1924م.

[5] احمد محمد يس، مذكراتي ، طباعة دار عزة للنشر والتوزيع، أم درمان، السودان.

[6] إصدارات دور النشر – اتحاد الناشرين – جمهورية مصر.

[7] بشير محمد سعيد، سرى قوين بل يروي ذكرياته، إدارة السودان في الحكم الثنائي، دار جامعة الخرطوم لنشر، الطبعة الأولي، سنة 1988م.

[8] بشير محمود بشير ، مؤتمر الخريجين ، دار جامعة الخرطوم ، الخرطوم 1988.

[9] جعفر محمد علي بخيت ، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان، بيروت 1978م.

[10] رأفت غنيمى الشيخ، مصر والسودان في العلاقات الدولية ، مكتبة الدراسات التاريخية، القاهرة 1979م.

[11] رشا در نوني ، الحركة الاستقلالية في السودان القرن العشرين ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية , جامعة محمد خضير, الجزائر ، 2015م.

[12] صلاح محي الدين ، وقفات في تاريخ السودان ، ط1 ، دار الهلال , القاهرة 1995.

[13] ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، مكتبة الحياة المكتب العالمي لندن 1968م.

[14] عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادي النيل والاستقلال 1919م – 1959م الجزء الثاني ؟، دار القلم الإمارات العربية المتحدة، 2007.

[15] عبد الوهاب محمد الزنتانى ، أزمات السودان بين الديمقراطية والدكتاتورية، دار غريب للنشر، القاهرة.

[16] عبده بدوى، الشعر الحديث في السودان، القاهرة 1962م.

[17] علي حامد ، تاريخ الحركة الوطنية السودانية، الناشرون ، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولي سنة 2000م.

[18] فيصل عبد الرحمن علي طه ، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان 1938–م – 1953م، دار الأمين للنشر والتوزيع ، الجيزة ،1995م.

[19] محجوب عمر باشري ، رواد الفكر السوداني ، دار الجيل ، بيروت ،1991م.

[20] محجوب عمر باشري ، معالم الحركة الوطنية في السودان– المكتبة الثقافية– بيروت سنة.

[21] محمد المصطفى أبو القاسم ، تاريخ السودان المعاصر–جذور الحركة الوطنية ، دراسة غير منشورة ، جامعة النيلين.

[22] محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج 1.

[23] محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث 1920م _1955م ، الناشر مركز عبد الكريم ميرغنى.

[24] محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900–1969 ، ترجمة هنري رياض و آخرون ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، 1998م.

[25] محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان1900م . 1968م ، دار الجيل، بيروت ، لبنان.

[26] مكي شبيكة، السودان عبر القرون ، دار الجيل ، بيروت.

ثانياً: الجرائد والمجلات:

[1]جريدة السودان – العدد 287بتاريخ 23نوفمبر / 1937م الخرطوم.

[2]جريدة السودان عدد يوم 1935/7/24م ومن كتاب أحمد إبراهيم دياب.

[3]جريدة السودان عدد يوم 1935/7/14م ومن كتاب أحمد إبراهيم دياب.

[4]رئاسة مجلس الوزراء :السودان من 13فبراير 1841 إلى12فبراير 1953م.

[5]مجلة الفجر السودانية – العدد 6 المجلد 3 بتاريخ 1937/5/16م/الخرطوم.

[6]مجلة الفجر العدد رقم 6 المجلد الثالث في 16مايو 1937م.

[7]مذكرات أزهري– الحلقة 19 صحيفة الأيام في 1957/6/24م.

ثالثاً: المقالات:

1 – الفاتح الشيخ يوسف ، الأنشطة الأدبية ودورها في الحركة الوطنية السودانية، مجلة الدراسات الإفريقية ، مجلد, 34 العدد (34) 2012م.

رابعاً : المراجع الأجنبية

[1] Intelligence Report from EL Obeid – Kordofan 1/12

[2] Security 10/2- Note by Director of Intelligence. December 19.1974.